مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

فاتح شطر بلاد الروم وشطر إرمينية

تـأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد 35 – ج1– ص 29 – 120

1404هـ - 1984م

مَرَوان بن محمّد بن مَرَوان بن الحكم

فاتح شطر بلاد الرُّوم وشطر إرمينيّة

اللواء الركن محمود شيت خطاب

(عضو المجمع)

نسبه وأيّامه الأولى

هو مَرْوان بن محمّد بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أُميّة ابن عبد شَمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ القُرَشِيّ الأُمَوِيّ (١) .

أبوه : محمّد بن مَرْوان بن الحكم أخو عبدالملك بن مروان بن الحَكَم ، وكان محمّد من قادة الفتح الإسلامي ومن أبرز ولاة بني أُميّة ومن البيت المالك.

وأمّه : كرديّة من أمّهات الأولاد (٢) ، ويريدون بأُمّهات الأولاد : الجواري والإماء اللّواتي وَلَدْنَ لموإليهنّ ذُكرانا ، واسم أمّه : لُبَابة .

ولد سنة ست وسبعين الهجرية (٣) (٦٩٥ م) ، ويومها كان أبوه محمد بن مروان على الجزيرة وإرْمِينِيَة ، فقد استعمله أخوه عبدالملك بن مروان على الجزيرة وإرمينية سنة ثلاث وسبعين الهجرية (٤) (٦٩٢ م) ، وبقي على

---

(١) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٥ / ٢٢٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٩) وجمهرة أنساب العرب (١٠٣ - ١٠٥) وفوات الوفيات (٣١/٢) .

(٢) المحبر (٣٢ و ٤٥) والبداية والنهاية (١٠ / ٤٦) .

(٣) الطبري (٦ / ٢٥٦) وابن الأثير (٤ / ٤١٨) ، وفي تاريخ خليفة بن خياط (٤٢٨/٢): أنه ولد سنة اثنتين وسبعين الهجرية في الجزيرة .

(٤) ابن الأثير (٤ / ٣٦١) .

عمله طيلة حياة أخيه عبدالملك بن مروان الذي توفّي سنة خمس وثمانين الهجرية (٥) (٧٠٤ م) وبقي على عمله أيضاً ، وشطراً من حياة الوليد بن عبدالملك الذي عزاه سنة إحدى وتسعين الهجرية (٦) (٧٠٩ م) ، بعد أن بعد أن أمضى في ولايته ثماني عشرة سنة متواصلة ، فأصبح ابنه مروان خلال هذه المدة شاباً في ريعان الشباب ، اكتسب خلالها خبرة عملية في معرفة أرجاء ولاية أبيه على الطبيعة ، كما تلقّى علومه النظريّة والعمليّة في محيط يَعجّ بقادة الفتح وجنوده ، وبقادة الفكر وجنوده ، كلّهم يجاهد في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمة الله ، في ساحة من أخطر ساحات الفتح الإسلامي ، وفي وقت هو وقت مدّ الفتح واستعادة الفتح ، بالمقر الذي تصدر عنه القرارات العسكرية والإدارية المهمّة ، إلى جانب والده القائد والإداريّ وأعوانه القادة والإداريين المرؤوسين والعلماء العاملين ، فلا عجب أن يتعلّم ما ينبغي أن يتعلّم لذاته ويتدرّب على ما ينبغي أن يتدرّب اقرانه على أيدي القمّة من العلماء المجاهدين والقادة الفاتحين والإداريين المجرِّبين ، ولا عجب أن تثرى تجارته العمليّة بخاصة كفاياته القيادية والإداريّة والعلميّة ، فأصبح أحد البارزين في بني أُميّة وأحد المرموقين منهم المرشحين بكفاياتهم المتميِّزة لتولّي أعلى المراكز القياديّة والاداريّة في الدولة .

جهاده

١- في سنة ست ومئة الهجريّة (٧٢٤ م) في خلافة هشام بن عبدالملك ابن مروان ، تولّى مروان أوّل قيادة عسكريّة له ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة . فقد تولى الصّائفة اليُمنى ، وهي التي تنطلق من الجزيرة شمالاً إلى بلاد

(٥) العبر (١ / ١٠٢) .

(٦) تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٣٠٧) .

الرُّوم صيفاً ، فافتتح (قُونِيَة) (٧) من ارض الرُّوم و (كَمْخ) (٨) التي تعدّ من ارض الجزيرة (٩) .

٢- وكان مروان مع مَسْلَمَة بن عبدالملك من سنة سبع ومئة الهجرية (٧٢٥ م) حتى سنة أربع عشرة ومئة الهجرية (٧٣١ م) في جهاده الذي امتدّ من الجزيرة الى بلاد الرّوم وأذْرَبيْجَان وإرْمِينْيَة (١٠) ، فعزل هشام أخاه مسلمة وولّى مروان بن محمد على الجزيرة وأَذْرَبِيْجان وإرْمينية (١١) .

ومضى مروان إلى إرمينية والياً عليها ، وسيّر هشام بن عبدالملك الجنود من الشّام والعراق والجزيرة ، فاجتمع عند مروان من الجنود والمتطوّعة المجاهدين مئة وعشرون ألفاً .

وكانت كثير من الأقاليم الأرمينيّة قد نقضت ، فشاع فيها الاضطراب والتمرّد ، فأراد مروان أن يعيد الأمن والاستقرار إلى تلك الأقاليم .

وأظهر مروان أنّه يريد غزو (اللان) (١٢) وقَصَدَ بلادهم، وأرسل إلى

---

(٧) قونية : من أعظم بلاد الاسلام في بلاد الروم ، وهي من المدن المشهورة ، لها جبل في جنوبيها ، ولها بساتين من جهة الجبل ، وبقلعتها تربة إفلاطون الحكيم ، ونهرها يسقي بساتينها ثم تصير مياهه بحيرة ومروجاً ، والفواكه بها كثيرة ، وهناك المشمش المعروف بقمر الدين ، انظر التفاصيل في بحث : مدن بلاد الروم ، وانظر معجم البلدان (٧ / ١٨٦) .

(٨) كمخ : مدينة وقلعة على الفرات الغربي من مدن أعاني الفرات في الجزيرة ، على مسيرة يوم أسفل أرزنجان، في يسار النهر أي في ضفته الجنوبية ، وهي : (كمخا Camcha) عند الروم . وهي قلعة عظيمة أيضاً ، في أسفلها المدينة على ضفة النهر ، انظر بحث : بلاد الجزيرة ، ومعجم البلدان (٨ / ٢٧٩) .

(٩) ابن الأثير(١٢٥/٥)،وفي خليفة بن خياط (١ / ٣٣٩) أنه تولى سنة خمس ومئة الهجرية

(١٠) انظر التفاصيل في سيرة مسلمة بن عبدالملك في مجلة المجمع العلمي العراقي .

(١١) تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٣٥٩) وابن الأثير (٥ / ١٧٧) .

(١٢) اللان : بلاد واسعة في طرف إرمينية ، قرب باب الأبواب مجاورة للخزر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧ / ٣١٦) .

ملك الخَزَر يطلب منهم المهادنة ، وبلاد اللان مجاورة لبلاد الخزر ، فأجابه ملك الخزر إلى ذلك ، وأرسل وفداً إليه للاتّفاق على شروط الصّلح .

وأبقى مروان وفد الخزر عنده ، إلى أن فرغ من جهازه واستحضاراته ، ثمّ أغلظ لهم القول ، ولم يوافق على شروطهم التي عرضوها عليه ، وآذنهم بالحرب ، وسيّرهم إلى أحد قادته ، وأخبره بعزمه على حرب الخزر ، لأنّهم كرّروا نقض عهودهم ومواثيقهم ، والحقوا بالمسلمين خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات من جرّاء نقضهم المتكرّر ، وأمر قائده أن يسيّر وَفْد الخزر على طريق بعيدة في عودتهم إلى ملكهم لكسب الوقت ، وسار هو على رأس جيشه في أقرب الطرق إلى هدفه ، فما وصل الوفد الخزريّ إلى ملكهم إلاّ ومروان قد وافاهم وأطبق عليهم .

وكانت هذه العملية العسكرية لمروان مباغتة كاملة لملك الخزر وللخزر ، شلّت تفكير الملك ومَن حواله ، وزادت في شللهم الفكري الأخبارُ التي حملها إليهم وفدهم الذي عاد خائباً من رحلته إلى مروان ، فقد حمل هذا الوفد إلى الملك بالإضافة إلى إخفاق المفاوضات ، ما جمع له مروان وما حشد واستعدّ .

واستشار ملك الخزر أصحابه ، فقالوا له : « إنّ هذا قد اغتَرّك ودخل بلادك ، فإن أقمتَ إلى أن تجمع ، لم يجتمع عندك إلى مدّة ، فيبلغ منك ما يريد . وإن أنتَ لقيتهُ على حالك هذه هزمَكَ وظفرَ بك ، والرأي أن تتأخر إلى أقصى بلادك ، وتدعه وما يريد » . أي أنّ خلاصة رأي أصحاب ملك الخزر ، أنّ الخزر لا يستطيعون إكمال استعداداتهم للقتال ، لأن الوقت المتيسّر لديهم غير كاف لإنجاز الاستعدادات ، فإذا قَبِل المعركة بدون استعدادات كاملة ، فإنّ الهزيمة ستقع بالخزر ، وليس أمامه إلاّ التملّص من القتال ، والانسحاب إلى مجاهل بلاده النائية ، استعداداً لفرصة مؤاتية جديدة .

وقبِلَ ملكُ الخزر رأي أصحابه ، وسار مع رجاله منسحباً من ساحة القتال إلى أقصى بلاده .

ودخل مروان بلاد الخزر ، وأوغل فيها ، وأخربها ، وغنم وسبى ، وانتهى إلى آخرها ، وأقام فيها عدّة أيام ، حتى أذلّ الخزر وانتقم منهم .

ولم يكتفِ مروان بهذا النصر المؤزّر على بلاد الخَزَر ، بل دخل بجيشه بلاد (ملك السّرير) (١٣) وهي بين اللان ومدينة باب الابواب ، فأوقع بأهله وفتح قلاعاً ودان له الملك ، وصالحه على مئة ألف مُدْيٍ (١٤) مع عدد من الجواري والغلمان ، على أن تحمل الحبوب إلى أهراء مدينة باب الابواب في كلّ سنة ، وأخذ منه الرّهن .

وصالح مروان أهل (تُومان) (١٥)على عشرين ألف مُدْيٍ من الحبوب وعدد من الجواري والغلمان . ثم دخل أرض (زِريكران) (١٦) ، فصالحه ملكها .

ثمّ أتى إلى أرض (حمزين) (١٧) ، فأبى حمزين أن يصالح مروان ، فحصرهم وشدّد عليهم الخناق ، حتى افتتح حصنهم .

---

(١٣) السرير : مملكة واسعة بين اللآن ومدينة باب الأبواب (دربند) ، وليس اليها غير مسلكين : مسلك إلى بلاد الجزيرة ، ومسلك إلى بلاد إرمينية ، وهي ثمانية عشر ألف قرية في جبال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ٨٠) . وملك السرير أيضاً : خان الجبل في إرمينية ، فتوح البلدان (٢٧٦) وفيه : ويدعى : وهرارزانشاه .

(١٤) المدى : مكيال في الشام ومصر ، يسع تسعة عشر صاعاً ، والصاع : مكيال تكال به الحبوب ونحوها ، وقدره أهل العراق قديماً بثمانية أرطال .

(١٥) لاذكر لها في المصادر البلدانية العربية ، ويبدو أنها مدينة بين اللآن ومدينة باب الأبواب .

(١٦) زريكران = زره كران = زرنكران = رزنكران : لاذكر لها في المصادر البلدانية العربية المتيسرة ، ويبدو أنها قريبة من مدينة (باب الأبواب) ، استناداً إلى سير العمليات العسكرية في تقدم مروان .

(١٧) حمزين : اسم صاحب كورة بالقرب من مدينة باب الأبواب .

ثمّ أتى (سُغْدان) (١٨) ، فصالحه أهلها على خمسة آلاف مُدْيٍ في كل سنة تحمل إلى مدينة (باب الأبواب) أيضاً .

ووظّف مروان على أهل (طَبَرْسَرَانْشَاه)(١٩) عشرة آلاف مُدْيٍ في كل سنة تحمل إلى أهراء مدينة باب الأبواب أيضاً .

ولم يوظّف على (فيلانْشاه) (٢٠) شيئاً ، وذلك لحسن غنائه وجميل بلائه ، فقد التزم بعهوده ومواثيقه ، ولم ينقض عهداً ولا ميثاقا ، وأعان مروان في حربه .

ثمّ نزل على قلعة صاحب (اللَكْز) (٢١) ، وقد امتنع عن أداء الوظيفة ، فخرج ملك اللكْز يريد ملك الخزر ، فقتله أحد الرعاة بسهمٍ وهو لا يعرفه ، فصالح أهلُ اللكْز مروان واستعمل عليهم عاملا .

وسار مروان إلى قلعة (شَرْوان) (٢٢) وهي تدعى : (خِرش) (٢٣) وهي على البحر ، فأذعن بالطّاعة والانحدار إلى السّهل ، وألزمهم عشرة آلاف مُدْيٍ في كلّ سنة ، وجعل على صاحب شروان أن يكون في المقدَّمَة إذا

(١٨) سعدان : جاء ذكرها في معجم البلدان (٥ / ٨٦) : قرية من قرى بخارى ، ولايمكن أن تكون هي المعنية ، لبعدها عن سير العمليات العسكرية ، ويبدو انها مدينة بالقرب من مدينة باب الأبواب .

(١٩) طبرسرانشاه : ملك (طبرستران) التي هي من نواحي إرمينية ، بالقرب من مدينة باب الأبواب ، انظر معجم البلدان (٦ / ٢١) .

(٢٠) فيلانشاه : ملك فيلان ، انظر فتوح البلدان (٢٧٦) ، وفيلان : بلد وولاية قرب باب الأبواب من نواحي الخزر ، يقال لملكها فيلانشاه ، وهو ملك السرير ، أنظر معجم البلدان (٦ / ٤١٣ — ٤١٤) ، اما فتوح البلدان فيذكر أن ملك السرير يدعى : وهرار زانشاه ، انظر فتوح البلدان (٢٧٦) .

(٢١) اللكز : مدينة تقع في جبل القفقاس خلف مدينة باب الأبواب ، ويسكنها قوم يعرفون باللكز أيضاً .

(٢٢) شروان : مدينة تقع قرب بحر الخزر من نواحي مدينة باب الأبواب ، بينهما مئة فرسخ .

(٢٣) خرش : اسم قلعة شروان ، أنظر فتوح البلدان (٢٩٣) .

بدأ المسلمون بغزو الخزر ، وبالسّاقة إذا رجعوا ، وعلى فيلانشاه أن يغزو معهم فقط ، وعلى طَبَرْسَرَانشاه أن يكون في الساقة إذا بدأوا وفي المقدمة إذا انصرفوا .

وسار مروان إلى (الدُّودَانيّة) (٢٤) . فأوقع بهم وأخضعهم إلى سيطرة الدولة ، وأعاد إلى ربوعهم الأمن والاستقرار (٢٥) .

ومن الواضح أنّ مروان في هذه الحملة استعاد فتح كورتي أرّان وباب الأبواب ، وأعاد المنتقضين منهم إلى سيطرة الدولة .

وكورة أرّان كما هو معروف ، تمتدّ من مدينة : (باب الأبواب) في الشمال الشرقي لإقليم إرمينية ، إلى مدينة (تَفْلِيْس) غرباً ، ويحدّها نهر (الرَّسّ) من الجنوب والجنوب الغربي (٢٦) .

وتقع مدينة : (باب الابواب) على بحر الخزر (قزوين) ، وتنتهي حدودها عند جبل (القَبْق) (٢٧) .

وتعتبر أرّان من إرمينية الأولى ، أما اللَكْز فتعتبر من إرمينية الثانية .

وكانت هذه الغزوة التي قادها مروان، من الغزوات الموفّقة إلى أبعد الحدود .

٣ـ وفي سنة سبع عشرة ومئة الهجرية (٧٣٥ م) بعث مروان وهو على إرمينية بَعْثَين إلى جبل (القَبْق) ، فافتتح أحد البعثين ثلاثة حصون

---

(٢٤) الدودانية : يدعون بأنهم ينتسبون إلى دودان بن أسد بن خزيمة ، منهم عرب ، ومن المحتمل أنهم من العرب الذين نقلهم كسرى أنو شروان من بلاد العرب إلى كورة أران للدفاع عن بلاده من خطر الخزر ، فبنى لهم الحصون والقلاع ، وأطلق عليها اسم : أبواب الدادانية .

(٢٥) فتوح البلدان (٢٩٢ – ٢٩٤) وانظر ابن الأثير (٥ / ١٧٨ – ١٧٩) وتاريخ خليفة ابن خياط (٢ / ٣٦١ .

(٢٦) المسالك والممالك للأصطخري (١٩٠) .

(٢٧) جبل القبق : يمتد في شمالي اقليم إرمينية ، ويتكون من عدة سلاسل تمتد عموماً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بصورة متوازية ، حيث تمتد إلى البحر الأسود (بحر بنطس) وإلى بحر قزوين .

من (اللاّن) (٢٨) ، ونزل الآخر على (تُومان شاه) ، فنزل هذا على حكم مروان ، فبعث به مروان إلى هُشام بن عبدالملك في دمشق ، فردّه هشام إلى مروان ، فأعاده مروان إلى مملكته (٢٩) ، بعد أن اطمأن إلى التزام الملك بالعهود والمواثيق التي قطعها على نفسه للمسلمين .

وجبل القَبْق هو جبل القفقاس الكبرى ، وهو جبل منيع جداً ، يبلغ متوسّط ارتفاعه عن سطح البحر بين (٢٧٠٠ متر ــ ٣٦٠٠ م) ، ويضمّ قمماً يتجاوز ارتفاعها (٤٥٠٠ متر) ، ويبدو أنّ الذين أرادوا الانتقاض على الدولة ، استفادوا من مناعة مناطقهم الجبليّة التي تساعدهم على الدفاع . ولكنهم لم يستطيعوا الثبات أمام القوّات الإسلاميّة بالرغم من مناعة بلادهم ، فاستسلموا إلى تلك القوات .

ويبد أيضاً أنّ الاضطرابات التي حدثت في جبال القَبْق كانت اضطرابات طفيفة ، لذلك بعث مروان مَنْ يعالجها من قادته المرؤوسين ولم يتولَّ معالجتها بنفسه ، كما أنّ عفوه عن تُومان شاه وإعادته إلى مملكته دليل آخر على أنّ اضطراباته لم تكن خطيرة بدرجة يستحق عليها أيّ نوع من أنواع العقاب ، فتمّ تسويتها بسلام .

٤ــ وفي سنة ثماني عشرة ومئة الهجرية (٧٣٦ م) ، غزا مروان أرض (وَرْتَنِيْس) (٣٠) ، فدخلها من ثلاثة أبواب ، وأحاط بحصنها إحاطة السِّوار بالمعصم .

---

(٢٨) اللاّن : بلاد واسعة في طرف إرمينية قرب باب الأبواب ، مجاورة للخزر ، أنظر معجم البلدان (٧ / ٣١٦) .

(٢٩) تاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٦٢) وابن الأثير (٥/ ١٨٦) .

(٣٠) ورتنيس : حصن في بلاد سميساط ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٤١٣) ، سمي باسم قائده ورتنيس .

وهرب وَرْتَنِيْس قائد الحصن وترك حصنه الذي سمي باسمه تحت رحمة المحاصِرين ، وتوجّه في هربه إلى الخزر ، فنصب مروان على الحصن المجانيق وأخذ يقصفه قصفاً عنيفاً متواصلاً . ولكنّ ورتنيس قُتل وهو في طريقه إلى الخزر ، فبعث مَن قتله برأسه إلى مروان ، فنصبه لأهل حصنه الذين تأكّد لهم قتله ، فانهارت معنوياتهم ، ونزلوا على حكم مروان الذي قتل المقاتلة وسبى الذريّة (٣١) .

ويبدو أنّ ورتنيس قصد ملك الخزر ليستعين به على المسلمين ، وحرّض رجاله على الثبات في الحصن حتى الرمق الأخير ، ريثما تردهم النجدات معه ، فلما تبيّن لهم أنه قُتل ، لم يبق لهم أمل بالنصر ، فلم يبق أمامهم غير الاستسلام دون قيد ولا شرط .

٥- وفي سنة تسع عشرة ومئة الهجريّة (٧٣٧ م) ، غزا مروان إرمينية ، فدخل من باب (اللّان) ، واخترق هذه الولاية حتى خرج إلى بلاد الخَزَر ، فمرّ بمدينة (بَلَنْجَر) (٣٢) و (سَمَنْدَر) (٣٣) ، وانتهى إلى مدينة (البَيْضاء) (٣٤) عاصمة خاقان ، فهرب خاقان منها ومن مروان (٣٥) .

ومن المعروف أنّ جبل القَبْق يقطعه ممرّان : الأول عن طريق مدينة باب الأبواب ، والثاني عن طريق باب اللّان الذي يطلق عليه في الوقت الحاضر :

---

(٣١) تاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٦٣) وابن الأثير (٥ / ١٩٨) ، وورد فيه : ورنيس بدلا من ورتنيس ، وورتنيس هو الصواب ، ولا يزال هذا الاسم شائعاً بين الأرمن حتى اليوم .

(٣٢) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر ، خلف باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٧٨)

(٣٣) سمندر : بلد خلف باب الأبواب بثمانية أيام بأرض الخزر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ١٣٠ - ١٣١) .

(٣٤) البيضاء : اسم مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٣٣٦) .

(٣٥) تاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٦٤) وابن الأثير (٥ / ٢١٥) ، وانظر النجوم الزاهرة (١ / ٢٨٢) .

ممر : (دَازْ بيِلْ) أو ممر : (دايال) على اسم مدينتي يمرّ بهما هذا الممر الحيوي الذي سلكه مروان في هذه الحملة .

وكانت هذه الغزوة من غزوات مروان الشّاملة التي قصد بها إبراز قوّة الدولة ومقدرتها على قمع كلّ انتقاض بكفاية وسرعة .

ويبدو أنّ هذه الغزوة أثْمرت في توطيد الأمن والاستقرار في ربوع إرمينية بالنسبة للمسلمين وبالنسبة للسكّان الأصليين ، فقد كانت سنة عشرين ومئة الهجرية (٧٣٨ م) سنة سلام واستقرار في ارجاء إرمينية ، إذ لم يَغْزُ مروان في تلك السنة ، فاستعادت قوّات المسلمين أنفاسها ، وأكملت استحضاراتها استعداداً لجهاد جديد .

كما أنّ هذه الغزوة حقّقت بانتصاراتها استعادة فتح أجزاء كبيرة من إرمينية وبلاد الخَزَر سبق فتحها من الفاتحين الأولين ، ولكنها كانت تنتقض بين حينٍ وآخر إذا وجدت لذلك سبيلاً .

٦- وفي سنة إحدى وعشرين ومئة الهجرية (٧٣٨ م) ، غزا مروان في إرمينية وهو واليها ، فأتى قلعة بيت السّرير ، فقتل وسبى .

ودخل مروان (غُومَسْك) (٣٦) ، وهو حصن فيه بيت الملك ، يكون فيه ملك السّرير (٣٧) ، فخرج الملك هارباً حتى أتى حصناً يقال له : (خترج) (٣٨) فيه سرير الذّهب ، فأقام عليه مروان شتوةً وصيفةً محاصراً له ، فصالحه على ألف رأس كلّ سنة ومئة ألف مُدْيٍ .

(٣٦) ورت كذلك في تاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٦٧) ، أما في ابن الأثير (٥ / ٢٤٠) ، فقد وردت : غوميك .

(٣٧) ملك السرير : يدعى وهرار زانشاه ، انظر فتوح البلدان (٢٧٦) .

(٣٨) خترج : وردت كذلك في تاريخ ابن خياط (٢ / ٣٦٧) ، اما في ابن الأثير (٥ / ٢٤٠) فقد وردت : خيزج ، حصن في إقليم السرير ، ولا ذكر له في المصادر البلدانية المتيسرة .

وسار مروان ، فدخل (تُومان) ، فصالحه ملكها تومان شاه . ثم سار مروان ، فدخل أرض (زرِيكران) (٣٩) ، فصالحه ملكها .

ثم سار مروان حتى دخل بلاد (حمزين) (٤٠) ، فأخرب بلاده ، وحصر حصناً له شهراً كاملاً ، فسأله حمزين الصّلح ، فصالحه مروان .

وسار مروان حتى دخل أرض (مسدار) (٤١) ، فافتتحها على صلح .

ثـم نزل مروان عـلى (كِيْران) (٤٢) ، فصالحـه طَبَرْسَرانشاه وفِيْلان شاه (٤٣) .

وكلّ هذه الولايات على شاطئ البحر من إرمينية إلى طَبَرستان (٤٤) .

ومن الواضح أنّ هذه الغزوة كانت لغرض فرض سيطرة الدولة على الذين انتقضوا ، وإظهار قوّتها للذين خالفوا وللذين يترددون في إعلان مخالفتهم لسبب أو لآخر ، والقوّة هي السّبيل لقمع الفوضى وفرض النظام إذا عجزت السياسة عن فرضهما بالحسنى .

وقد تهيّأ لمروان في هذه السنة من الفتوحات أَمْرٌ عظيم ، ووقع في قلوب الخزر والترك منه رعب عظيم (٤٥) .

وقد وطّد أركان الأمن والاستقرار في إرمينية ، وأصبح الذين كان دأبهم الانتقاض على الدولة والشّغب عليها وقطع الجزية عنها أو المماطلة في أدائها

---

(٣٩) زريكران : هكذا وردت في فتوح البلدان (٢٩٣) .

(٤٠) حمزين : هكذا وردت في ابن الأثير (٥ / ٢٤٠) ، اما في تاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٦٧) ، فقد وردت حمرين .

(٤١) هكذا وردت في تاريخ خليفة ابن خياط (٢/ ٣٦٧)، اما في تاريخ ابن الأثير (٥/٢٤٠) ، فقد وردت : مسداز .

(٤٢) كيران : مدينة بإرمينية بالقرب من البيلقان ، انظر معجم البلدان (٧ / ٣٠٥) .

(٤٣) تاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٦٧) وابن الأثير (٥ / ٢٤٠) وانظر الطبري (٧/٩٩) .

(٤٤) ابن الأثير (٥ / ٢٤٠) .

(٤٥) العبر (١ / ١٥٣) .

يخافون مروان ويهابونه ويطيعونه وينفّذون أوامره ، كما أصبح للدولة هيبة في نفوس سكّان البلاد الأصليين والوافدين ، لهذا نعمت إرمينية بالسّلام والاستقرار ، وانصرف مروان للبناء والتعمير ، إلى أن عاد أدراجه من إرمينية إلى دمشق ، على رأس جيش ضخم سنة سبع وعشرين ومئة الهجريّة (٧٤٤م) مطالباً بالخلافة .

لقد كان مروان في قيادته فاتحاً من أبرز الفاتحين في دولة بني أُميّة : فتح بلاداً كثيرة وحصوناً متعدّدة في سنين كثيرة ، وكان لا يفارق الغزو في سبيل الله ، وقاتل طوائف من الناس الكفّار ومن الترك والخزر واللان وغيرهم ، فكسرهم وقهرهم ، وكان شجاعاً بطلاً مقداماً حازم الرأي (٤٦).

في الصّراع الداخليّ

١ - من الولاية الى الخلافة

تُوفي هُشام بن عبدالملك بن مروان سنة خمس وعشرين ومئة الهجريّة (٤٧) (٧٤٢ م) ، فتولى الخلافة من بعده الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان ، فكتب إليه مروان بن محمد بيعته ، واستأذنه بالقدوم عليه (٤٨) ، وكان نصّ كتاب البيعة الذي بعث به مروان إلى الخليفة الجديد : « بارك الله لأمير المؤمنين فيما صار إليه من ولاية عباده ، ووراثة بلاده ، وكان من تغشّي غَمْرة سكرة الولاية ما حمل هُشاماً على ما حاول من تصغير ما عظّم الله من حقّ أمير المؤمنين ، ورامَ من الأمر المستصعَب عليه، الذي أجابه إليه المدخولون(٤٩) في آرائهم وأديانهم ، فوجد ما طمع فيه مُستصعباً ، وزاحمته الأقدار بأشدّ

(٤٦) البداية والنهاية (١٠ / ٤٧) .

(٤٧) الطبري (٧ / ٢٠٠) وابن الأثير (٥/ ٢٦١) وتاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٧٢) والعبر (١/ ١٦٠) .

(٤٨) الطبري (٧ / ٢١٦) وابن الأثير (٥ / ٢٦٨) .

(٤٩) المدخول : من في عقله دخل ، أي فساد .

مناكبها . وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه ، حتى أَزَّره بأكرم مناطق الخلافة ، فقام بما أراه الله له أهلا ، ونهض مستقلاً بما حُمِّل منها ، مثبتة ولايته في سابق الزُبُر (٥٠) بالأجل المسمّى ، وخصّه الله بها على خلْقه وهو يرى حالاتهم ، فقلّده طَوْقها ، ورمى إليه بأزِمّة الخِلافة ، وعِصم الأمور .

« فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته ، ووثائق عُرَى دينه ، وذبّ له عمّا كاده فيه الظّالمون ، فرفعه ووضعهم ، فمن أقام على تلك الخَسِيسة من الأمور أَوْبَق (٥١) نفسه وأسخطَ ربّه ، ومَنْ عدلتُ به التّوبة نازعاً عن الباطل إلى حقٍ وجد الله توّاباً رحيماً .

« أُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله ، أني عندما انتهى إليّ من قيامه بولاية خلافة الله ، نهضتُ إلى منبري ، عليَّ سيفان مستعدّاً بهما لأهل الغش ، حتى أعلمتُ مَنْ قِبَلي ما امتنّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين ، فاستبشروا بذلك ، وقالوا : لم تأتنا خلافة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هي لنا أسرّ من ولاية أمير المؤمنين ؛ وقد بسطتُ يدي لبيعتك فجدّدتها ووكّدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الأيمان ، فكلّهم حسُنت إجابتُهم وطاعتُهم ، فأَثِبْهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي آتاكَ ، فإنك أجودهم جوداً وأبسطهم يداً ، وقد انتظروك راجين فضلك قِبلَهم بالرَّحم الذي استرحموك ، وزِدْهم زيادة يَفْضَل بها مَنْ كان قِبلَك ، حتى يظهر بذلك فضلُك عليهم وعلى رعيّتِك ؛ ولولا ما أُحاول من سدّ الثّغر (٥٢) الذي أنا به ، لخفتُ أن يحملني الشّوق إلى أمير المؤمنين أن استخلف رجلاً على غير أمره ، وأقدم لمعاينة أمير المؤمنين ، فإنّها لا يعد لها عندي عادل نعمة

---

(٥٠) الزبر : جمع زبور ، وهو الكتاب .
(٥١) أوبق نفسه : أي أهلكها .
(٥٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .

وإن عظمت ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في المسير إليه لأشافهه بأمور كرهتُ الكتاب بها فعل » (٥٣) .

ولا تخلو هذه الرسالة من مجاملة في غير موضعها ، لا يستحقها الخليفة الجديد لأنّه كان صاحب لهوٍ وصيد ولذّات حتى ثقل على النّاس وعلى جنده (٥٤) ، ولكنها تدلّ على أنّ مروان يميل إلى الوليد بن يزيد ويدين له بالولاء ، وقد بقي على ولائه ما بقي الوليد على قيد الحياة .

فقد بلغ مروان وهو في مقر عمله على إرمينية واذربيجان والجزيرة سنة ست وعشرين ومئة الهجريّة (٧٤٣ م) ، أنّ يزيد بن الوليد ابن عبدالملك يدعو سرّاً لنفسه ويبث دعاته في الأمصار ويبايع الناس سرّاً ، فكتب الى سعيد بن عبدالملك بن مروان ، وكان يدعى : سعيد الخير ، وكان أكبر بني أميّة وأفضلهم حينذاك — يأمره أن ينهي النّاسَ ويكفّهم ويحذّرهم الفتنة ويخوّفهم خروج الأمر عنهم . وأعظم سعيد ذلك ، وبعث بالكتاب إلى العبّاس بن الوليد بن عبدالملك ، فاستدعى العبّاسُ يزيد وتهدّده ، ولكن يزيدَ كتمه أمره ، فصدّقه العباس (٥٥) ، وانتهى الأمر إلى هذا الحد .

واستطاع يزيد بن الوليد بن عبدالملك قتل الخليفة الجديد ، الوليد بن يزيد بن عبدالملك وتولى الخلافة من بعده ، فاضطرب أمر بني أُميّة اضطراباً شديدا .

ولعلّ أخطر الاضطرابات التي انتشرت انتشاراً خاطفاً ، مخالفة مروان بن محمد للخليفة يزيد بن الوليد بن عبدالملك سنة ست وعشرين ومئة الهجريّة ، وإظهار هذا الخلاف .

وبدأ ابن مروان بن محمد وهو عبدالملك بن مروان بن محمد بالوثوب

---

(٥٣) الطبري (٢١٦/٧ – ٢١٧) . (٥٤) الطبري (٧ / ٢٣١) .

(٥٥) الطبري (٧ / ٢٣٨) وابن الأثير (٥ / ٢٨٤) .

على حرّان والجزيرة فضبطهما بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، ثم كتب إلى أبيه مروان وهو بارمينية يُعْلمه بذلك ويشير عليه بالتّعجيل بالمسير إلى دمشق ، فتهيأ مروان للمسير ، وأنفذ إلى الثغور مَن يضبطها ويحفظها ، وأظهر أنّه يطالب بدم الوليد بن يزيد ، وسار ومعه الجنود ومعه ثابت بن نُعَيْم الجُذاميّ من أهل فلسطين .

وسبب صحبة ثابت ، أنّ هشام بن عبدالملك ، كان قد حبسه ، لأنّ هشاماً أرسله إلى إفريقية لما قتلوا عامله كُلْثوم بن عِياض فأفسد الجند ، فحبسه هشام . وقدم مروان على هشام في بعض وفاداته ، فشفع بثابت ، فقبل هشام شفاعته وأطلق سراحه ، فاستصحبه معه مروان إلى إرمينية .

ولما سار مروان مسيره هذا ، أمر ثابت بن نُعَيْم مَنْ مع مروان من أهل الشّام بالانضمام إليه ومفارقة مروان ، ليعود بهم إلى الشّام ، فأجابوه إلى ذلك ، واجتمع معه ضعف مَنْ مع مروان ، وباتوا يتحارسون ، ولكن مروان هدّدهم ، فانقادوا له ، فأخذ ثابت بن نُعَيْم وأولاده وحبسهم ، وضبط الجند حتى بلغ حرّان ، ثم سيّرهم إلى الشّام .

ودعا مروان أهل الجزيرة إلى التجنيد ، ففرض لنيِّف وعشرين ألفاً ، وتجَهز للمسير إلى يزيد بن الوليد بن عبدالملك في دمشق .

وكاتبه يزيد ليبايع له ، على أن يولّيه ما كان عبدالملك بن مروان ولّى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وإرمينية وأذربيجان ، فبايعه مروان ، وأعطاه يزيد ولاية ما ذكر له (٥٦) .

والذي يبدو أنّ مروان تظاهر بالمطالبة بدم الوليد ، لأنّه خشي أن يعزله الخليفة الجديد يزيد بن الوليد بن عبدالملك ، فلما أمرّه على الجزيرة وإرمينية

---

(٥٦) الطبري (٧ / ٢٩٧) وابن الأثير (٥ / ٣٠٩ - ٣١٠).

وأذربيجان بايع يزيد وكفى الله المؤمنين شرّ القتال ، وهكذا كان طموح مروان غير المشروع ، هو المحرّك لاقدامه على الخلاف .

والدليل على أنّ طموحه غير المشروع هو الذي دفعه إلى الخلاف ، وحرصه على الولاية التي يحكمها من زمن بعيد أولاً وقبل كلّ شيء ، هو أنّه لم يخالف الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، وكان فاسقاً متهتّكا (٥٧) ، وخالف يزيد بن الوليد بن عبدالملك وكان فيه زُهْدٌ وعدلٌ وخير (٥٨) ، لأنّ الوليد أقَرّه على ولايته ، ولانّ يزيد لم يقرّه في بداية أيام خلافته ، ثم أقَرّه على ولايته حين علم بمخالفته ، فبايع يزيد ونسي خِلافه وحمَده إلى حين .

ولكنّ يزيد بن الوليد بن عبدالملك تُوفي في هذه السنة ، وهي سنة ست وعشرون ومئة الهجرية بعد أن تولى الخلافة ستة أشهر تقريباً (٥٩) ، فتولّى الخلافة من بعده إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك (٦٠) ، فأظهر مروان خلافه من جديد ، فقد دفعه طموحه غير المشروع إلى الطمع في تولّي أعلى منصب في الدولة الإسلامية ، كأنّ منصبه الحالي لا يرضي طموحه الجامح بعد اليوم ، حيث كان يرى نفسه أحق بالخلافة من الجالس على العرش .

وسار مروان بالجنود ، وخلّف ابنه عبدالملك في جمع عظيم بالرَّقّة ، فلما انتهى مروان إلى قِنّسْرين ، لقى بها بِشْر بن الوليد بن عبدالملك ، وكان ولاّه أخوه يزيد قِنّسْرين ومعه ، أخوه مَسْرور بن الوليد .

واستعدّ الجانبان للقتال ، فدعاهم مروان إلى بيعته ، فمال إليه يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة في القَيْسِيّة وأسلموا بِشْراً وأخاه مَسْروراً ، فأخذهما مروان وحبسهما ، ثمّ سار ومعه أهل قِنّسْرين متوجّهاً إلى حِمْص .

---

(٥٧) العبر (١٦١/١) .
(٥٨) العبر (١٦٢/١) .
(٥٩) الطبري (٢٩٨/٧) .
(٦٠) ابن الأثير (٣١١/٥) .

وكان أهل حمص قد امتنعوا حين مات يزيد من بيعة إبراهيم بن الوليد ابن عبدالملك الذي تولّى الخلافة بعد يزيد بعهدٍ منه ، على أن يتولى الخلافة من بعده عبدالعزيز بن الحجّاج بن عبدالملك (٦١) ، فلم يبايع أهل حمص إبراهيمَ وعبدالعزيز ، فوجّه إليهم إبراهيمُ لقتالهم عبدالعزيز وجند أهل دمشق ، فحاصروا أهل حمص في مدينتهم .

وأسرع مروان في مسيرته باتّجاه حمص ، فلما دنا منها ، رحل عنها عبدالعزيز ، فخرج أهلها إلى مروان وبايعوه وساروا معه نحو دِمَشق .

ووجّه إبراهيم بن الوليد الجنود من دمشق مع سليمان بن هُشام بن عبدالملك ، للقاء مروان وصدّه عن دمشق ، فنزل سليمان موضع : (عين الجرّ) (٦٢) في مئة وعشرين ألفاً ، ونزلها مروان في ثمانين ألفاً .

ودعا مروان أهل دمشق إلى الكفِّ عن قتاله وإطلاق سراح ابني الوليد ابن يزيد بن عبدالملك من السِّجن ، وكانا قد سُجنا بعد مقتل أبيهما ، وضمن لهم مروان أنّه لا يطلب أحداً من قَتَلَة الوليد إذا كفّوا عن قتاله ، فلم يجيبوه وجدّوا في قتاله .

واقتتل الجانبان ما بين ارتفاع النّهار إلى العصر ، وكثر القتل بينهما .

وكان مروان ذا رأيٍ ومكيدة ، فأرسل ثلاثة آلاف فارس ، فساروا خلف عسكره ، وقطعوا نهراً كان هناك ، وقصدوا عسكر دمشق ليغيروا فيه ، فلم يشعر سليمان ومَنْ معه وهم مشغولون بالقتال إلاّ بالخيل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلفهم ، فانهزم عسكر دمشق ، ووضع أهل حمص السِّلاح فيهم لحنقهم عليهم ، فقتلوا منهم سبعة عشر ألفاً ، وكفّ أهل الجزيرة وأهل قِنّسرين عن قتلهم ، وأتوا مروان من أسراهم بمثل القتلى وأكثر

---

(٦١) ابن الأثير (٥ / ٣٠٨) .

(٦٢) عين الجر : موضع معروف بسهل البقاع ، بين بعلبك ودمشق ، انظر معجم البلدان (٦/٢٥٤).

فأخذ مروان عليهم البيعة لولدَيْ الوليد : الحكم وعثمان ، وخلّى عن الأسرى الباقين عدا اثنين من الأسرى توليا قتل الوليد ، فحبسهما فماتا في السِّجن .

وهرب يزيد بن خالد بن عبدالله القَسْرِيّ فيمَنْ هرب مع سليمان إلى دمشق ، واجتمعوا مع إبراهيم وعبدالعزيز بن الحجّاج ، فقال بعضهم لبعض : إنْ بقي ولدا الوليد : الحكم وعثمان ، حتى يُخْرِجهما مروان ويصير الأمر إليهما ، لم يَسْتَبْقِيا أحداً من قَتَلَة أبيهما ، والرأي قتلهما ، فقُتِلا .

وتقدّم جيش مروان كالسّيل الجارف إلى دمشق ، فدخلتها خيل مروان أولاً ثم مشاته بعد الخيل ، فهرب إبراهيم وهو الخليفة واختفى ، وانتهب سليمان ما في بيت المال وقسمه في أصحابه وخرج من المدينة ، وهرب أشياع الخليفة واختفوا ، ودخل مروان المدينة لا ينازعه أحد فيها (٦٣) .

وما قَتَلَ الحكَمَ وعثمانَ وهما ابنا الوليد بن يزيد بن عبدالملك والوريثان الشرعيان للخلافة ، مَنْ قتلهما من أصحاب إبراهيم بن الوليدبن عبدالملك الخليفة المخلوع ، ولكنّ الذي قتلهما هو مروان ، فقد ذبحهما بغير سكين ، حين أجبر أسرى جيش دمشق في معركة : (عين الجَرّ) على بيعتهما ، ولا أظنّ أنّ مروان بدرجة من الغباء بحيث يغفل عن خطورة بيعتهما وهما في سجن إبراهيم ، ويبدو أنّه أراد أن يُزيل آخر عقبة أمامه تحول بينه وبين الخلافة ، فأقدم على ما أقدم ليتخلص منهما ، على الرغم من تظاهره بنصرتهما والمطالبة بدم الوليد أبيهما ، وهو في الواقع لا يطالب بغير الخلافة لنفسه ، لأنّه كان يرى أنه أحقّ بها من غيره في حينه .

---

(٦٣) الطبري (٧ / ٣٠٠ - ٣٠٢) وابن الأثير (٥ / ٣٢١ - ٣٢٢) .

وبدأت تمثيليّة بيعة مروان بالخلافة ، إذ لم يبق أحد ينازعه في تولي هذا المنصب الرفيع ، فقد أُتى مروان بالغلامين الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد بن عبدالملك مقتولين وغيرهما فدفنهم ، وأُتي بأبي محمد السفياني الذي نجا من القتل بأعجوبة ، وكان مع ابني الوليد بن يزيد في السجن ، وقد أُتي به في قيوده ، فسلّم على مروان بالخلافة !

وكان مروان يُسلّم عليه يومئذٍ بالإمرة .

واستنكر مروان التَسليم عليه بالخلافة ، ولكن أبا محمد السفياني قال : « إنهما – ويريد الغلامين الحكم وعثمان – جعلاها لك بعدهما » ، وأنشده شعراً قاله الحكَم في السجن ، وكانا قد بلغا وولد للحكم مولود ، وهذا هو شعر الحكم الذي رواه السفياني لمروان :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ مَرْوَان عنّي ... وعَمّي الغَمْرَ طال به حنينا(٦٤)

بأني قد ظُلمتُ وصار قومي ... على قتل الوليد مشايعينا (٦٥)

أيذهبُ كلُّهم بدمي ومالي ... فلا غثّاً أصبتُ ولا سَمينا(٦٦)

ومروانٌ بأرض بني نِزارٍ ... كليث الغاب مفترسٌ عرينا (٦٧)

أتُنْكَثُ بَيْعتي من أجل أُمي ... فقد بايعتُم قبلي هجينا (٦٨)

---

(٦٤) في الطبري (٧ / ٣١١) : طال بذا حنينا .

(٦٥) في الطبري : متابعينا .

(٦٦) في الطبري : أيذهب كلبهم .

(٦٧) ورد في الطبري بعد هذا البيت الأبيات التالية

الم يحزنك قتل فتى قريش ... وشقهم عصى المسلمينا

ألا فاقر السلام على قريش ... وقيس بالجزيرة أجمعينا

وساد الناقص القدري فينا ... وألقى الحرب بين بني أبينا

فلو شهد الفوارس من سليم ... وكعب لم أكن لهم رهينا

ولو شهدت ليوث بني تميم ... لما بعنا تراث بني أبينا

(٦٨) بعد هذا البيت في الطبري :

فليت خؤولتي من غير كلب ... وكانت في ولادة آخرينا

فإن أَهْلِكْ أنا وولّي عَهْدِي فمروان أمير المؤمنينا

ثمّ قال : « ابسط يدك أبايعك » .

وسمعه مَنْ مع مروان ، وكان أوّل من بايعه معاوية بن يزيد بن حُصَيْن بن نُمَيْر ورؤوس أهل حِمْص والناس بعده .

ولما استقرّ له الأمر ، رحل إلى منزله بحَرَّان .

وطُلب منه الأمان لإبراهيم بن الوليد بن عبدالملك وهو الخليفة المتنازل عن الخلافة ، وسليمان بن هشام بن عبدالملك ، فآمنهما . وقد وفدا عليه وهو في حَرَّان ، وبايعاه بالخلافة ، وكان سليمان بـ : (تَدْمُر) بمن معه من إخوته ومواليه ، فبايعوا جميعاً مروان بن محمد بن الحَكَم (٦٩) .

وليس المهم تحقيق صحّة نسبة هذه الأبيات إلى الحَكَم ، فالظلال على نسبتها كثيفة قاتمة ، فبالرغم من سذاجة الابيات الشعريّة ، إلاّ أنّها يصعب على الحكم قولها في ظروفه الحرجة وهو بين الحياة والموت وقد بلغ الحلم أو لم يبلغه ، كما يصعب على هذا السفياني حفظ هذا الشعر وهو مهدّد بالموت في السِّجن يلجأ إلى أحد دهاليسه ويغلق عليه الباب ، وخافه السيوف مصلتة تريد رأسه ، فينقذ من القتل وصول جند مروان في تلك اللحظات الحرجة الحاسمة إلى السِّجن .

المهمّ أنّ مروان حقّق ما طمح إليه في تسنّم سدّة الخلافة ، وبعد انتصاره على جيش الخلافة أصبح سيِّد المو قف بدون منازع ، ولو لم يتطوّع السفياني باختلاق ما أعلنه من اساطير ، لتطوّع لإعلان مثلها غيره من النّهازين الخبراء كلّ الخبرة بإسماع السلطان ما (يحبّ) أن يسمع لاما (يجب) أن يسمع ، فأكثر الناس مع (الواقف) لا مع (القاعد) بصرف النظر عن أيّهما يكون

---

(٦٩) الطبري (٧ / ٣١١ – ٣١٢) وابن الأثير (٥ / ٣٢٣ – ٣٢٤) .

معه الحقّ وأيّهما يكون معه الباطل ، فهم مع (القوي) حتى إذا كان على الباطل ، على (الضعيف) حتى إذا كان على الحق .

وقد ظنّ مروان أنّه بلغ أوج سعادته في تسنّمه الخلافة ، وما درى أنّه بلغ أوّل شقائه في تسنّمها ، فقد انتهت بالخلافة أيام رخائه ، وبدأت بها أيام شقائه ، حتى قُتل شريداً طريداً غريباً محروماً من أبسط حق من حقوق الإنسان : القبر .

٢ ـ أوّل الغيث

أ ـ كانت بيعة مروان بالخلافة سنة سبع وعشرين ومئة الهجريّة (٧٤٤م) ، وفي هذه السنة بالذّات ظهر عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ودعا إلى نفسه ، فقاتله جيش الدولة وانتصر عليه ، فلجأ إلى (المدائن) بعد أن أُعطي له الأمان ، ولكنه جمع الجموع فغلب على حُلوان والجبال وهَمَدان وأصبهان والريّ (٧٠) ، واشتبك بعدة معارك طاحنة اندحر فيها ، فهرب إلى أبي مُسْلم الخراساني الذي أعلن الدعوة العباسيّة بخُراسان ، فقتاه أبو مسلم الخراساني سنة تسع وعشرين ومئة الهجرية (٧١) (٧٤٦ م) .

ب ـ وفي هذه السّنة انتقض أهل حِمْص على مروان ، فلما عاد إلى حرّان بعد فراغه من أهل الشّام ، أقام ثلاثة ، فانتقض عليه أهل حمص .

وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نُعَيْم الذي راسلهم محرّضا ، وبعث إليهم مَنْ بتَدْمُر من كَلْب في نحوٍ من ألفٍ من فرسانهم ، فدخلوا حمص ليلة عيد الفطر .

(٧٠) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٥ / ٣٢٤ - ٣٢٧) .

(٧١) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٣٧٠ - ٣٧٣) .

وتوجّه مروان في السّير الى حمص ومعه الخليفة المخلوع ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك وسليمان بن هشام بن عبدالملك ، وكان مروان قد آمنهما وكان يكرمهما إكراماً كبيرا .

وبلغ مروان حمص بعد الفطر بيومين ، وقد سدّ أهلها أبوابها ، فأحدق بالمدينة ، ووقف بإزاء باب من ابوابها ، فنادى مناديه الذين عند الباب : « ما دعاكم إلى النكث ؟ ! » ، فقالوا : « إنّا على طاعتك ، لم ننكث ! » ، فقال : « فافتحوا الباب » ، ففتحوا الباب !

ودخلت قوّات مروان حمص في نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، فقاتلهم مَنْ في البلد ، ولكنّ خيل مروان هاجمتهم بشدّة وتكاثرت عليهم .

وخرجت قوّات حمص من باب تَدْمُر ، أحد أَبواب المدينة ، فقاتلهم مَنْ عليه من أصحاب مروان ، فقتل عامّة مَنْ خرج منه ، ولم يفلت منهم غير الشّريد .

وقتل مروان جماعة من الأسرى ، وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة ، وهدم من سورها نحو غَلْوَة (٧٢) .

وغير الواضح في هذه المعركة ، هو سبب فتح باب من أبواب المدينة للمهاجمين ، ولا تعليل له إلاّ أن يكون سكّان المدينة غير مجمعين على حرب مروان ، ففتح له الباب الذين كانوا لا يريدون قتاله من أهل حمص ، وأفسحوا له المجال لقتال المخالفين .

وعلى كلّ حال ، فقد كانت قوّات الجانبين غير متكافئة ، وكان التفوق مع جيش مروان ، لذلك انتصر على أهل حمص ، وبالغ في عقابهم الصّارم ، على نقضهم الذي لا مسوّغ له ، بعد أن كانوا معه على أعدائه .

---

(٧٢) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣١٢ - ٣١٦) وابن الأثير (٥ / ٣٢٨ - ٣٢٩) ، والغلوة : مقدار رمية سهم ، وتقدر بثلاثمائة ذراع إلى إربعمائة ذراع .

ج- وفي هذه السنة أيضاً، سنة سبع وعشرين ومئة، خالفه أهل الغُوْطَة(٧٣) وهي الـكورة التي منها دمشق ، وولّوا عليهم يزيد بن خالد القَسْرِيّ ، وحصروا دمشق .

ووجّه إليهم مروان من حمص أحد قادته في عشـرة آلاف مقاتل ، فلما دنَوا إلى المدينة حملوا على المخالفين .

وخرج عليهم مَنْ بالغوطة ، واشتبك الجانبان ، فانهزم أهل الغوطة ، واستباح جيش عسكرهم ، وأحرقوا (المِزَّة) ، وكانت قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (٧٤) ، كما أحرقوا قرى اليمانيين المجاورة للغُوطة ، وأُخذ يزيد بن خالد فقُتل . وبُعث برأسه إلى مروان بحمص (٧٥) .

د - وفي هذه السنة أيضاً ، سنة سبع وعشرين ومئة الهجريّة ، خرج ثابت ابن نُعَيْم بعد أهل حمص ودمشق . معلناً خلافه لمروان، وكان مع ثابت في أهل فلسطين .

وتقدم ثابت بمن معه إلى مدينة (طَبَرِيّة) فحاصرها ، وكان عليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم وهو ابن عم مروان بن محمد بن الحكم.

وكتب مروان إلى قائده الذي بعثه إلى الغُوطة يأمره بالمسير إلى أهل فلسطين المخالفين ، فسار إليهم ، فلما قرب منهم خرج أهل طبريّة على ثابت ، فهزموه واستباحوا عسكره .

وانصرف ثابت إلى فلسطين منهزماً ، ولكنّ قائد مروان الذي بعثه لقتاله طارده . فالتقوا واقتتلوا ، فَهُزم ثابت ثانية وتفرّق أصحابه ، وأسر ثلاثة من أولاد ثابت . واستطاع ثابت وابنه رفاعة أن يلوذا بالفرار .

(٧٣) انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٣١٤ - ٣١٥) .
(٧٤) انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٤٧) .
(٧٥) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣١٣ - ٣١٤) وابن الأثير (٥ / ٣٢٩) .

واستعمل مروان أحد رجاله على فلسطين ، فظفر بثابت وبعثه إلى مروان موثقاً بعد شهرين ، فأمر به وبأولاده الثلاثة ، فقتلوا جميعاً ، ثمّ حُملوا إلى دمشق ، فأُلقُوا على باب المسجد ، ثم صلبهم على أبواب دمشق (٧٦) .

هـ — وكان مروان في هذه السّنة قد بايع لابنيه عُبيدالله وعبدالله وزوّجهما ابنتيْ هشام بن عبدالملك ، وجمع كذلك بني أُميّة ، واستقام له الشّام ما عدا تدمُر ، فسار إليها ونزل القَسْطَل (٧٧) ، وبينه وبين تَدْمُر أيّام ، وكانوا قد عوّروا (٧٨) المياه ، فاستعمل المزاد والقِرب والأعلاف والإبل . وكلّمه الأبرش بن الوليد بن عبدالملك وسليمان بن هشام بن عبدالملك وغيرهما ، وسألوه أن يُعذِر إليهم ويحتجّ عليهم ، فأجابهم إلى ذلك . ووجّه الأبرش إليهم أخاه عمرو بن الوليد ، فلم يستجيبوا له ، فقصدهم الأبرش وخوّفهم وحذّرهم ، فأجابوا إلى الطّاعة ، وهرب بعضهم إلى البر مِمّنْ لم يثق بمروان ، ورجع الأبرش إلى مروان ومعه مَنْ أطاع بعد أن هدم سورها (٧٩)

و — وكان مروان في هذه السّنة أيضاً ، قد سيّر يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة بين يديه إلى العراق لقتال الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجيّ ؛ وضرب على أهل الشّام بعثاً ، وأمرهم باللّحاق بيزيد .

وسار مروان إلى الرُّصافة (٨٠) ، فاستأذنه سليمان بن هشام بن عبدالملك ليقيم أياماً ليقوى ويستريح هو ومَنْ معه ، فأذن له مروان بالبقاء .

---

(٧٦) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣١٤) وابن الأثير (٥ / ٣٣٠) .
(٧٧) القسطل : موضع بين حمص ودمشق ، انظر معجم البلدان (٧ / ٨٦) .
(٧٨) عور البئر : أفسدها .
(٧٩) انظر التفاصيل في الطبري (٧/٣١٤-٣١٥) وابن الأثير (٥/٣٣٠ - ٣٣١) .
(٨٠) الرصافة : يريد هنا رصافة الشام التي يطلق عليها رصافة هشام ، غربي الرقة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ٢٥٥) .

وتقدّم مروان إلى (قَرْقِيْسِيَاء) (٨١) وبها ابن هُبَيْرَة ليقدّمه إلى الضحّاك في العراق ، فرجع عشرة آلاف كان مروان قد أَخَذَهم من أهل الشّام لقتال الضحّاك ، فأقاموا بالرُّصافة ، ثمّ دعوا سليمان بن هشام بن عبدالملك إلى خلع مروان ، فأجابهم سليمان إلى ما دعوه إليه وأعلن خلع مروان بن محمّد .

وسار سليمان بإخوته ومواليه مع جند الشام الذين رفضوا السير إلى العراق مع مروان ، فعسكر بقنّسرين وكاتب أهل الشّام ، فأتوه من كلٍّ وجه .

وبلغ الخبرُ مروانَ ، فرجع من قرقيسياء ، وكتب إلى ابن هُبَيْرَة يأمره بالمقام في قرقيسياء .

واجتاز مروان في رجوعه بحصن الكامل بين قرقيسياء وقنّسرين ، وكان فيه جماعة من موالى سليمان وأولاد هشام بن عبدالملك ، فأرسل إليهم مروان : « إني أحذِّركم أن تعرضوا لأحدٍ ممّنْ يتبعني من جندي ، فإن فعلتم فلا أمان لكم عندي » ، فأرسلوا إليه : إنا لا نتعرّض بأحدٍ ممّنْ معك.

ومضى مروان ، فجعل الذين في حصن الكامل يغيرون على مَنْ يتبعه من أخريات النّاس ، وبلغه ذلك فتغيّظ عليهم .

واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام وغيرهم ، وعسكر بقرية (خُسَاف) (٨٢) من أرض قِنّسرين .

وقدم مروان إلى معسكر سليمان بن هشام ، وواقعه عند قدومه مباشرة ، فاشتدّ القتال بين الجانبين ، فانهزم سليمان ومَنْ معه . وطاردتهم خيل مروان

(٨١) قرقيسياء : بلد على نهر الخابور (خابور الفرات) قرب الرحبة على ستة فراسخ منها ، وعندها مصب الخابور في الفرات ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧ / ٥٩ - ٦٠) .

(٨٢) خساف : برية بين بالس وحلب ، مشهورة عند أهل حلب وبالس ، وكان بها قرى انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٣٦) .

تقتل وتأسر . واستباح جيش مروان معسكر جيش سليمان ، ثمّ وقف مروان في نقطة للسيطرة على السّابلة ، ووقف ابناه في نقطتين أخريين ، ووقف كَوْثر صاحب شرطة مروان في نقطة رابعة ، وأمرهم ألاّ يؤتَوا بأسير إلاّ قتلوه إلاّ عبداً مملوكاً ، فأُحصي قتلاهم يومئذ ما نَيّف على ثلاثين ألف قتيل ، وقُتل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده وخالد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبدالملك وادّعى كثير من الأسرى لجند مروان أنّهم عبيد ، فكفّ عن قتلهم وأمر ببيعهم ، وكان عددهم أكثر ممن أُصيب من عسكرهم .

ومضى سليمان حتى انتهى إلى حِمْص ، وانضمّ إليه مَنْ أفلت ممّنْ كان معه ، فعسكر في حمص وبنى ما كان مروان أمر بهدمِه من سورها .

وسار مروان إلى حصن الكامل حنقاً على مَنْ فيه ، فحصرهم وأنزلهم على حكمه ، ومثّل بهم وأخذهم إلى الرَّقّة ، فداووا جراحاتهم ، وهلك بعضهم وبقي أكثرهم ، وكانت عدّتهم نحواً من ثلاثمائة .

وسار مروان إلى سليمان ومَنْ معه ، فقال بعضهم لبعض : حتى متى ننهزم من مروان ؟ !

وتبايع سبعمائة من فرسانهم على الموت ، وساروا بأجمعهم مجمعين على أن يبيّتوا مروان إنْ أصابوا منه غِرّة .

وبلغ مروانَ خبرهم ، فتحرّز منهم ، وزحف إليهم في الخنادق على احتراس وتعبية ، فلم يُمكّنهم أن يبيّتوه .

وكمنوا له في حقل للزيتون في طريقه ، وخرجوا عليه وهو يسير على تعبية ، فوضعوا السّلاح فيمَنْ معه ، فحشد خيوله التي كانت في المقدمة والمجنبتين ، وقاتلهم من ارتفاع النّهار إلى العصر ، فانهزم أصحاب سليمان مرة أخرى ، وقُتل منهم نحو من ستّة آلاف .

ولما بلغ سليمان هزيمة رجاله ، خلّف أخاه سعيداً بحمص ، ومضى هو إلى تَدْمُر فأقام بها :

ونزل مروان على حمص ، فحصر أهلها عشرة أشهر ، ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً يُرمى بها ليلاً ونهاراً ، وأهل حمص يخرجون إليه كلّ يوم فيقاتلونه ، وربّما بيّتوا نواحي عسكره في بعض الأحيان .

ولما طال عليهم البلاء ، طلبوا الأمان على أن يمكّنوه من سعيد بن هشام ابن عبدالملك وابْنَيْه عثمان ومروان ومن بعض الذين نصبوا له العداء ، فاستوثق من سعيد وابنيه ، وقتل أعداءه ، .

وقيل : إنّ سليمان بن هشام لما انهزم بخُساف ، أقبل هارباً حتى صار إلى عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز بالعراق ، فخرج معه إلى الضحّاك بن قيس الخارجيّ ، فبايعه وحرّض على مروان ، فقال بعض شعرائهم :

ألم ترَ أنّ اللهَ أظْهرَ دِينَهُ وصلّت قريشٌ خلفَ بكر بن وائل(٨٣)

وكان الضّحاك بن قيس من بني شَيْبَان من بكر بن وائل .

ز – وفي هذه السنة أيضاً ، خرج الضّحاك بن قيس الشيباني الخارجي في العراق ، فسار إليه مروان ومعه يزيد بن عمر بن هُبَيْرة الذي قدّمه إلى قرقيسياء ، ولكن فتنة سليمان بن هشام جعلت مروان يعود أدراجه من قرقيسياء ويقضي على فتنة سليمان ، ثم يعود إليها على رأس جيشه ، وكان قد أمر ابن هبيرة بالمقام في قرقيسياء ريثما يعود إليه .

وسبب خروج الضّحاك الخارجي في العراق على الدولة ، نّ الوليد بن يزيد بن عبدالملك حين قُتل ، خرج بالجزيرة حرَوريّ يقال له : سعيد بن بَهْدَل الشّيبانيّ في مئتين من أهل الجزيرة ، فيهم الضّحاك بن قيس الشيباني فاغتنم قتل الوليد واشتغال مروان بانشّام ، فخرج في الجزيرة ثم سار إلى العراق لما بلغه أنّ الاختلاف بها أيضاً ، فمات سعيد بن بهدل في الطريق ،

(٨٣) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٢٤ – ٣٢٧) وابن الأثير (٥ / ٣٣١ – ٣٣٣) .

واستُخلف الضّحاكُ بن قيس ، فبايعه الشُّراة (الخوارج) ، فأتى أرض الموصل ثمّ (شَهْرَزور) (٨٤)، واجتمعت إليه الصُفريّة (فرقة من الخوارج) حتى صار في اربعة آلاف .

وهلك يزيد بن الوليد ، وكان عامله على العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ، فلما تولى مروان الخلافة ، كتب إلى النّضْر بن سعيد الحَرَشِيّ بولاية العراق ، فلم يسلّم ابن عمر إليه العمل .

وشخص النّضْر إلى الكوفة ، وبقي ابن عمر بالحيرة ، فتحاربا أربعة أشهر ، وأمدّ مروانُ النّضْر .

واجتمعت المُضَرِيّة مع النّضر عصبيّة لمروان حيث طلب بدم الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، وكانت أمّ الوليد قيسيّة من مُضَر ، وكان أهل اليمن مع ابن عمر عصبية له ، حيث كانوا يؤيدون يزيد بن الوليد بن عبدالملك في قتل الوليد .

فلما سمع الضّحاك باختلافهم ، أقبل نحوهم وقصد العراق سنة سبع وعشرين ومئة الهجريّة ، فأرسل ابن عمر إلى النّضر : « أنّ هذا لا يريد غيري وغيرك ، فهَلُمّ نجتمع عليه » .

وتعاقدا عليه واجتمعا بالكوفة ، وكان كلٌ منهما يصلي بأصحابه .

وأقبل الضّحاك ، فنزل بـ : (النُخَيْلَة) (٨٥)، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فكشف الخوارج ابن عمر وقتلوا أخاه عاصِما ، فدخل ابن عمر خندقه ، وبقي الخوارج يحيطونه إلى اللّيل ثم انصرفوا .

---

(٨٤) شهرزور : كورة واسعة في الجبال ، بين أربيل وهمذان ، فيها مدن وقرى كثيرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ٣١٢ — ٣١٤) .

(٨٥) النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٧٦ — ٢٧٧) .

وفي اليوم الثاني اقتتل الجانبان قتالاً عنيفاً ، فانهزم أصحاب ابن عمر ودخلوا خنادقهم ، فلما أصبحوا تسالل أصحابه نحو واسِط ، لأنهم رأوا قوماً لم يروا أشد بأساً منهم .

وكان ممن لحق بواسط النّضْر بن سعيد الحَرَشِيّ وغيره من الوجوه ، وبقي ابن عمر فيمَنْ عنده من أصحابه لم يبرح ، فقال له أصحابه : قد هرب الناس ، فعلامَ نُقيم ؟ !

وبقي ابن عمر يومين آخرين لا يرى إلاّ هارباً ، فرحل عند ذلك إلى واسط ، واستولى الضّحاك على الكوفة ودخلها .

ووصل ابن عمر إلى واسط ، فنزل بدار الحجاج بن يوسف الثقفي ، فعادت الحرب بينه وبين النّضر إلى ماكانت عليه قبل قدوم الضحّاك إلى العراق ، النّضر يطلب أن يسلّم اليه ابن عمر ولاية العراق بعهد مروان له ، وابن عمر يمتنع .

وسار الضحّاك من الكوفة إلى واسِط ، فلما رأى ابن عمر والنّضر ذلك تركا الحرب بينهما واتّفقا على قتال الضحّاك ، فاستمرّ القتال بين الجانبين ثلاثة أشهر متواصلا .

وقال أحد الرجال لابن عمر : « مارأيتُ مثل هؤلاء ! فَلِمَ نحاربهم ونَشْغلهم عن مروان ؟ أعطهم الرّضا واجعلْهم بينك وبين مروان ، فأنَهم يرجعون عنّا اليه ويوسعون شرّاً ، فان ظفروا به فذلك ما أردت وكنتَ عندهم آمنا ، وإن ظفر بهم وأردت خلافه وقتاله قاتلته وأنت مستريح ! » .

ثم إنّ عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز خرج إلى الضحّاك وصالحه وبايعه ، ومعه سليمان بن هشام بن عبدالملك (٨٦) .

---

(٨٦) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٢٧ - ٣٢٩) وابن الأثير (٥ / ٣٣٤ - ٣٣٧) .

ح – وفي هذه السنة أيضاً خلع أهل الأندلس أبا الخُطّار الحُسَام بن ضِرار أميرهم .

وسبب ذلك أنه لما قدم الأندلس أميراً ، أظهر العصّبية لليمانيّة على المُضَرِيّة فاتفق في بعض الأيام أنه اختصم رجل من كِنانة ورجل من غسّان ، فاستعان الكِناني بالصُّمَيْل بن حاتم بن ذي الجَوْشَن الضِّبابيّ ، فكلّم به أبا الخُطّار ، فاستغلظ أبو الخطّار ، فأجابه الصميل فأمر به فأُقيم وضُرب قفاه ، فمالت عِمامته ، فلما خرج قيل له : نرى عمامتك مالت ! فقال : « إن كان لي قوم فسيقيمونها ! » .

وكان الصُّميل من أشراف مُضَر ، فلما دخل الأندلس شرف فيها بنفسه وأوليّته ، فلما جرى له ماذكرناه جمع قومه وأعلمهم ، فقالوا له : نحن تَبَعٌ لك ، فقال : « أُريد أن أُخرج أبا الخطّار من الأندلس » ، فنصحه بعض أصحابه أن يستعين بأبي عطاء القَيْسِيّ ، وكان من أشراف قيس ، وكان يناظر الصُّميل في الرياسة ويحسده ، وقالوا له : الرأي أنك تأتي أبا العطاء وتشدّ أمرك به ، فانه تحرّكه الحميّة وينصرك ، وإن تركته مال إلى أبي الخطّار وأعانه عليك ليبلغ فيك مايريد ، والرأي أيضاً أن تستعين عليه بأهل اليمن فضلاً عن مَعَدّ (٨٧) .

وسار من ليلته إلى أبي عطاء ، فعظّمه أبو عطاء ، وسأله عن سبب قدومه فأعلمه ، فلم يكلّمه حتى قام فركب فرسه ولبس سلاحه ، وقال له : « انهض الآن حيث شئت ، فأنا معك » ، ثمّ أمر أهله وأتباعه باتّباعه .

واستعان الصميل بثَوَابَة بن سلامة الحدّاني ، وكان مطاعاً في قومه ، وكان أبو الخطّار استعمله على إشْبِيْلِيَة وغيرها ثمّ عزله ، ففسد عليه ،

(٨٧) معد بن عدنان ، وكنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، بن نزار بن معد بن عدنان .

فدعاه الصّميل إلى نصره ، ووعده أنه إذا أخرجوا أبا الخطّار صار أميراً ، فأجاب إلى نصره ، ودعا قومه فأجابوه .

وسار أبو الخطّار إليهم من قُرطبة ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً . وصبر الفريقان ، ثم وقعت الهزيمة على أبي الخطّار ، وقُتل أصحابه أشدّ قتل ، وأُسر أبو الخطّار .

ولما انهزم أبو الخطّار ، سار ثوابة بن سلامة والصُّميل الى قُرْطبة فملكاها واستقرّ ثوابة في الإمارة ، فثار به عبدالرحمن بن حسّان الكلبيّ وأخرج أبا الخطّار من السِّجن . فاستجاش (طلب منهم جيشاً) اليمانيّة ، فاجتمع له خلق كثير . وأقبل بهم إلى قُرطبة ، فخرج إليه ثوابة بمن معه من اليمانيّة والمُضَرِيَّة مع الصُّميل .

ولما تقاتل الطائفتان نادى رجلٌ من مُضَر : يا معشر اليمانيّة ! ما بالكم تتعرّضون للحرب على أبي الخطّار ، وقد جعلنا الأمير منكم ؟ ! يعني ثوابة ، فإنّه من اليمن ، ثم أضاف ، ولو أنّ الأمير منّا ، لقد كنتم تعتذرون في قتالكم لنا ، وما نقول هذا إلاّ تحرّجاً من الدماء ورغبة في العافية للعامة ! فلما سمع النّاس كلامه ، قالوا : صدق والله ، الأمير منّا فما بالنا نقاتل قومنا ؟ فتركوا القتال ، وافترق النّاس ، فهرب أبو الخطّار ولجأ إلى مأمنه ، ورجع ثوابة إلى قُرطبة ، فسمي ذلك العسكر : عسكر العافية (٨٨) .

ط — وفي هذه السنة أيضاً ، توجّه سليمان بن كثير ولاهز بن قُرَيظ وقَحْطَبة إلى مكّة ، فلقوا ابراهيم بن محمد الإمام بها ، وأوصلوا إلى مولى له عشرين ألف دينار ومئتي ألف درهم ومسكاً ومتاعاً كثيراً ، وكان معهم أبو مُسْلِم الخُراساني ، فقال سليمان لإبراهيم : « هذا مولاك » .

(٨٨) ابن الأثير (٥ / ٣٣٧ - ٣٣٩) .

وكتب بُكَيْر بن ماهان إلى إبراهيم الإمام ، أنّه في الموت ، وأنّه قد استخلف أبا سَلِمَة حَفْص بن سليمان ، وهو رضى للامر . فكتب إبراهيم الإمام لأبي سَلِمَة يأمره بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خُراسان يخبرهم أنّه قد أسند أمرهم إليه . ومضى أبو سَلِمَة إلى خُراسان ، فصدّقوه وقبلوا أمره ، ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشّيعة وخُمْس أموالهم (٨٩).

٣ – تصاعد الخلاف

أ – دخلت سنة ثمان وعشرين ومئة الهجرية (٧٤٥ م) ، فتصاعدت حدّة الخلاف ، وكثر المخالفون نوعاً وعَدَدا ، كأنّ مروان هدفٌ للرّمي في ميدان للرميّ ، تتكاثر عليه السّهام ، فتصيبه بعضها وتتخطّاه أخرى ، ولكنّها تستنزف قوّته وتؤثّر في معنوياته وتسحبه سحباً إلى مصيره المحتوم .

فقد بلغت الفوضى في خُراسان منتهاها ، ليس من جهة واحدة ؛ بل من جهات عدّة .

ولا يمكن حصر كلّ بواعث الفوضى في خراسان في الحديث عن سيرة مروان ، ولكن لا بأس أن نتطرّق إلى نماذج قليلة منها .

فقد كان يزيد بن الوليد بن عبدالملك قد أعطى الأمان للحارث بن سُرَيْج الذي كان يعيش في بلاد العدو ، فعاد أدراجه إلى بلاد الإسلام .

ولما وليَ ابنُ هُبَيْرة العراق ، كتب إلى نَصْر بن سَيّار بعهده على خُراسان ، فبايع لمروان بن محمد ، فقال الحارث : « إنما آمنني يزيد ولم يؤمنّي مروان ، ولا يجيز مروان أمان يزيد ، فلا آمنه » ، فخالف نصراً .

وأرسل إليه نصر ، يدعوه إلى الجماعة ، وينهاه عن الفُرقة وإطماع العدو المتربّص بالمسلمين ، فلم يجبه إلى ما أراد ، وخرج وعسكر مع أصحابه ثمّ أرسل إلى نصر : « اجعل الأمر شُورى » ، فأبى نصر .

(٨٩) الطبري (٣٢٩/٧) وابن الأثير (٥ / ٣٣٩ – ٣٤٠) .

وأمر الحارثُ جَهْمَ بن صفوان ، رأس الجهميّة ، أن يقرأ سيرته وما يدعو إليه على النّاس ، فلما سمعوا ذلك كثُروا وكثر جمعه .

وأرسل الحارث إلى نصر ليعزل صاحب شُرطته ويغيِّر عمّاله ويقرّ الأمر بينهما أن يختاروا رجالاً يسمّون لهم قوماً يعملون بكتاب الله ، فاختار نصر رجلين من أصحابه ، واختار الحارث رجلين من أصحابه أيضاً ، وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يُرضى هؤلاء الاربعة المختارين من السّنن وما يختارونه من العمّال ، فيولّيهم ثغر سَمَرْقَنْد وطَخارستان ، وكان الحارث يُظْهر أنّه صاحب الرّايات السُّود ، فأرسل إليه نصر : « إن كنتَ تزعم أنّكم تهدمون سور دمشق وتزيلون مُلْك بني أُميّة ، فخذ مني خمسمائة رأس ومائتَيْ بعير ، واحمل من الأموال ما شئتَ وآلة الحرب وسِرْ ، فلعمري لئن كنت صاحبَ ما ذكرتَ إني لفي يدك ، وإن كنتَ لستَ ذلك ، فقد أهلكتَ عشيرتك » .

وقال الحارث : « قد علمتُ أنّ هذا حق ، ولكن لا يبايعني عليه مَنْ صحبني ! » ، فقال نصر : « فقد ظهر أنّهم ليسوا على رأيك ، فاذكر الله في عشرين ألفاً من ربيعة واليمن يهلكون فيما بينكم » .

وعرض عليه نصر أن يولّيه ما وراء النهر (جيحون) ويعطيه ثلاثمائة ألف فلم يقبل ، فسأله نصر أن يبدأ بالكرمانيّ فإن قَتَلَهُ فهو في طاعته ، فلم يقبل أيضاً .

وقدم على الحارث جمع من أهل خُراسان حين سمعوا بالفتنة ، وأمر الحارث أن تُقرأ سيرته في الأسواق والمساجد وعلى باب نصر ، فقُرئت ، فأتاه خلق كثير . وقرأها رجل على باب نصر ، فضربه غلمان نصر ، فنابذهم الحارث وتجهزوا للحرب .

ودلّ رجل من أهل (مَرْو) الحارث على نقب في سورها ، فمضى الحارث إليه ونقبه ودخل المدينة ، فقتل مَن قتل ونهب بيت صاحب شُرطة نصر .

ولكنّ أصحاب نصر هزموا أصحاب الحارث ، فأراد نصر أن يتّفق مع الكرماني على حرب الحارث ولكنه أخفق في مسعاه ، واتّفق الكرماني والحارث على حرب نصر .

ولكن اتفاق الكرماني والحارث لم يدم طويلاً ، إذ سأل الحارثُ الكرمانيَّ أن يكون الأمر شورى ، فأبى الكرماني ، فانتقل الحارث عنه .

ثم إنّ الحارث أتى سور مَرْو فثلم فيه ثلمةً ودخل البلد ، وهاجم الكرمانيّ ، فاشتد القتال بينهما ، فانهزم الحارث ، فقُتل في هزيمته وقُتل كثير من أصحابه .

وصفت مرو لليمن ، فهدموا دور المُضَريّة (٩٠) .

ب – وفي هذه السّنة ، وجّه ابراهيم الإمام أبا مُسْلم الخُراسانيّ ، واسمه : عبدالرحمن بن مُسْلِم ، إلى خُراسان ، وعمره يومئذٍ تسع عشرة سنه ، وكتب إلى أصحابه : « إني قد أمرته بأمرى ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإني قد أمّرته على خُراسان وعلى ما غلب عليه بعد ذلك » .

وقدم أبو مسلم الخراساني خُراسان ومعه كتاب إبراهيم الإمام ، فلم يقبل شيعة بني العباس قول أبي مسلم الخراساني ، وخرجوا بعد ذلك إلى مكّة والتقوا عند إبراهيم الإمام ، فأعلمهم رأيه بأبي مُسلم ، وأمرهم بالسّمع والطّاعة له . ثم قال لأبي مسلم : « إنّك رجل منّا أهل البيت ، احفظ وصيتي ! انظر هذا الحيّ من اليمن ، فالزمهم واسكن بين أظهرهم ، فإنّ الله لا يُتمّ هذا الأمر إلاّ بهم . فاتّهم ربيعة في أمرهم ، وأمّا مُضَر فإنّهم العدو القريب الدار ، واقْتلْ مَنْ شككتَ فيه ، وإنْ استطعتَ أن لا تَدَعَ بخُراسان مَنْ يتكلّم بالعربيّة ، فافعل . وأيّما غلام بلغ خمسة

---

(٩٠) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٣٠ – ٣٤٤) وابن الأثير (٥ / ٣٤٢ – ٣٤٧) .

أشبار تتهمه فاقتلْه ، ولا تخالف هذا الشّيخ (يعنى سليمان بن كَثير) ولا تعصه ، وإذا أشكل عليكَ أمرٌ فاكتفِ به منى » (٩١) .

ولا أعلم توجيهاً أكثر شعوبية وأشد حقداً على العرب ، مثل هذا التوجيه الذي أصدره إبراهيم الإمام لرأس الشعوبيّة أبي مسلم الخراساني .

وكان لهذا التوجيه أثره البالغ في انتقال الحكم عملياً من العرب المسلمين إلى غيرهم ، وكان بداية الانهيار العربي الإسلامي في الدولة ، مما أفقد العرب منزلتهم السّامية المرموقة بين المسلمين .

ج – وفي هذه السنة أيضاً ، نشبت حروب طاحنة بين جيوش الدولة وجيش الضَّحاك بن قيس الخارجي .

فقد حاصر الضحّاك بواسِط عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ، فلما طال الحصار على ابن عمر ، أُشير عليه بأن يدفعه عن نفسه إلى مروان ، فأرسل ابن عمر إلى الضحّاك : « إنّ مقامكم عليّ ليس بشيْ ! هذا مروان ، فسِرْ إليه ، فإن قاتلته ، فأنا معك » ، فصالحه وخرج إليه وصلّى خلفه ، فانصرف الضحّاك إلى الكوفة ، وأقام ابن عمر بواسِط .

وكاتب أهل الموصل الضحّاك ليقدم عليهم ليسلّموها إليه ، فسار في جماعة من جنوده حتى انتهى إلى الموصل ، وعليها يومئذ لمروان عامل من عمّاله وفتح أهل الموصل البلد للضحّاك ، فدخله وأصحابه ، وقاتلهم عامل مروان ومَنْ معه من أهله وهم عدّة يسيرة حتى قُتلوا ، واستولى الضحّاك على الموصل وكُوَرها (٩٢) .

وبلغ مروان خبره وهو محاصر حِمْص مشتغل بقتال أهلها ، فكتب إلى ابنه عبدالله ، وهو خليفته بالجزيرة ، يأمره أن يسير إلى نَصِيبِيْن في

(٩١) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٤٤) وابن الأثير (٥ / ٣٤٧ – ٣٤٨) .
(٩٢) تاريخ الموصل (٦٩) للأزدي .

مَنْ معه ، يمنَع الضَّحّاك من السيطرة على الجزيرة ، فسار اليها في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، وسار الضحاك إلى نَصيبين ، فحصر عبدالله بن مروان فيها ، وكان مع الضّحاك ما يزيد على مئة ألف . ووجّه الضَّحاك قائدين من قادته إلى الرَّقّة في أربعة آلاف أو خمسة آلاف ، فقاتلهم حماة المدينة ، ووجّه إليهم مروانَ من رحّلهم عنها .

ثم إنّ الضَّحاك قابل جيش مروان المتقدم باتّجاهه بنواحي (كَفَرْ تُوثا) (٩٣) من أعمال مَارِدِيْن ، فقاتله يومه أجمع ، فلما كان عند المساء ، ترجّل الضَّحاك ومعه من ذوي الثبات وأرباب البصائر نحو من ستّة آلاف ، ولم يعلم أكثر أهل عسكره بما كان ، فأحدقت به خيول مروان وألحّوا عليهم بالقتال حتى قتلوهم عند العتمة . وانصرف مَنْ بقي من أصحاب الضّحاك عند العتمة إلى عسكرهم ، ولم يعلموا بقتل الضّحاك ولم يعلم به مروان أيضاً .

وجاء مَنْ عاينه إلى أصحابه ، فأخبرهم بمقتل الضّحاك ، فخرج قائد من قوّاده إلى مروان فأخبره ، فبعث مروان رأسه إلى مدائن الجزيرة ، فطيف به فيها (٩٤) .

ولما قُتل الضّحاك ، بايع أصحابه الخَيْبَرِيّ ، وأقاموا يومئذ وعاودوا القتال بعد الغد ، وصافّوه وصَافّهم ، وكان سليمان بن هشام بن عبدالملك مع الخيبريّ ، وكان قبله مع الضّحاك في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه .

وحمل الخيبريّ على مروان في نحوٍ من أربعمائة فارس من الشُراة ، فهزم مروان وهو في القلب . وخرج مروان من العسكر منهزماً ، ودخل

(٩٣) كفرتوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، بينها وبين دارا خمسة فراسخ ، وهي بين دارا ورأس العين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧ / ٢٦٣) .

(٩٤) الطبري (٣٤٤/٧ - ٣٤٦) وابن الأثير (٣٤٨/٥ - ٣٥٠) وانظر تاريخ الموصل (٦٩ - ٧١) .

الخيبريّ ومَنْ معه عسكره ، ينادون بشعارهم ، ويقتلون مَنْ أدْرَكوا ، حتى انتهــوا إلى خيمة مروان نفسه ، فقطعوا أطنابهــا . وجلس الخيبريّ على فرشه . وكانت ميمنــة مروان وعليهــا ابنه عبدالله ثابتــة ، وميسرته وعليها اسحق بن مُسْلم العُقَيْلي ثابتة أيضاً . فلما رأى أهل العسكر قلّة مَنْ مع الخيبري ، ثار إليه عبيدهم بعمد الخيم ، فقتلوا الخيبريّ وأصحابه جميعاً في خيمة مروان وحولها .

وبلغ مروانَ الخبرُ ، وقد جاز العسكرُ بخمسة أميال أو ستّة منهزماً ، فانصرف إلى عسكره ، وردّ خيوله عن مواقعها ، وبات ليلته في عسكره .

وانصرف أهل عسكر الخيبريّ ، فولّوا عليهم شيبان بن عبدالعزيز اليشكريّ الحروريّ ، فقاتله مروان بعد ذلك بأسلوب الكراديس ، وأبطل الصفّ منذ يومئذٍ (٩٥) .

وأقام شيبان يقاتل مروان، فتفرّق عنه كثير من أصحاب الطّمع، وبقي في نحو أربعين ألفاً ، فأشار عليه سليمان بن هشام بن عبدالملك أن ينصرف وأصحابه إلى الموصل فيجعلوها ظهرهم ، فارتحلوا وتبعهم مروان حتى انتهوا إلى الموصل.

وعسكر الخوارج شرقي دجلة وعقدوا جسوراً عليها من عسكرهم الى المدينة . فكانت ميرتهم ومرافقتهم منها ، وخندق مروان بإزائهم ، وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج ، فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم ، وقيل تسعة أشهر .

وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة يأمره بالمسير من قَرْقِيْسياء . بجميع مَنْ معه إلى العراق ، وعلى الكوفة المثنّى بن عِمْران العائذيّ، عائذ قريش ، وهو والٍ للخوارج بالعراق ، فلقى ابن هبيرة بـ (عين التمر) (٩٦) ،

---

(٩٥) الطبري (٣٤٦/٧ - ٣٤٧) وابن الأثير (٣٥٠/٥) وانظر تاريخ الموصل (٧١ - ٧٢)

(٩٦) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، بقربها موضع يقال لها : شفاثا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٢٥٣) .

فهزمهم ابن هبيرة .

واجتمع الخوارج بالكوفة ، فهزمهم ابن هبيرة من جديد .

واجتمع الخوارج بالبصرة ، فأرسل شيبان إليهم عُبَيْدَة بن سَوَّار في خيل عظيمة ، فالتقوا بالبصرة ، فانهزم الخوارج ، وقُتل عُبَيْدَة ، فاستباح ابن هبيرة عسكرهم ، فلم يكن لهم همّة بالعراق ، فاستولى ابن هبيرة على العراق .

وكان منصور بن جُمْهور مع الخوارج ، فانهزم وغلب على (الماهَيْن)(٩٧) وعلى (الجبل) (٩٨) أجمع .

وسار ابن هبيرة إلى واسِط ، فأخذ ابن عمر وحبسه ، ثمّ وجّه نُباتَة بن حَنْظَلَة إلى سليمان بن حبيب ، وهو على كُوَر الاهواز ، فسمع سليمان الخبر ، فأرسل إلى نُباتة داودَ بن حاتم ، فالتقوا بـ (المرتان) (٩٩) على شاطئ نهر (دُجَيْل) (١٠٠) ، فانهزم الناس وقُتل داود بن حاتم .

وكتب مروان إلى ابن هبيرة لما استولى على العراق ، يأمره بإرسال عامِر بن ضُبارة المُرّيّ إليه ، فسيّره في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، فبلغ شيبان خبره ، فأرسل الجَوْن بن كلاب الخارجيّ في جمع ، فلقوا عامراً بـ (السِّن) (١٠١) ، فهزموه ومَنْ معه ، فدخل السِّنّ وتحصّن فيه ، وجعل مروان يمدّه بالجنود على طريق البرّ ، حتى ينتهوا إلى السِّن ، فكثر جمع عامِر .

---

(٩٧) الماهين : الماهان هما : الدينور ونهاوند ، انظر معجم البلدان (٧ / ٣٧٤) .

(٩٨) الجبل : هي ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرمسين الري وما بين ذلك.

(٩٩) المرتان : موضع على نهر دجيل ، ولا ذكر لها في معجم البلدان .

(١٠٠) الدجيل : نهر بالاهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس ، ومعناه : دجلة الصغيرة ، ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه قرب عبادان ، وكانت عند دجيل هذا وقائع للخوارج ، وفيه غرق شبيب الخارجي ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٤١-٤٢)

(١٠١) السن : مدينة على نهر دجلة فوق مدينة تكريت ، لها سور وجامع ، وعند السن مصب الزاب الأسفل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ١٥٣ - ١٥٤) .

وكان منصور بن جُمْهور يمدّ شيبان من الجبل بالأموال . فلما كثر مَنْ مع عامر ، نهض إلى الجَوْن والخوارج ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل الجون ، وسار عامر مصعداً إلى الموصل .

وانتهى خبر قتل الجون إلى شيبان ومسير عامر نحوه ، فكره أن يقيم بين العسكرين : عسكر مروان من جهة ، وعسكر عامر من جهة أخرى ، فارتحل بمَن معه من الخوارج .

وقدم عامر إلى الموصل ، فسيّره مروان في جمع كثير إثر شيبان مع هذه الوصايا : « إن أقام شيبان أقام ، وإن سار سار ، وألاّ يبدأه بقتال ، فإن قاتله شيبان قاتله ، وإن أمسك أمسكَ عنه ، وإن ارتحل اتبعه » . فكان على ذلك حتى مرّ على (الجبل) ، وخرج من بيضاء (١٠٢) فارس وبها عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب في جمع كثيرة فلم يتّفق شيبان معه على أمر ، فسار حتى نزل (جِيرَفْت) (١٠٣) من كَرْمان .

وأقبل عامر بن ضُبارة حتى نزل بإزاء عبد الله بن معاوية أياماً ، ثمّ ناهضه فانهزم ابن معاوية ولحق بِهَراة .

وسار عامر بمن معه ، فلقي شيبان بجيرَفْت ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت الخوارج واستبيح عسكرهم ، ومضى شيبان إلى سِجِسْتَان فهلك بها وذلك في سنة مئة وثلاثين الهجرية (٧٤٧م) .

وقيل : بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل مقدار شهر ، ثمّ انهزم شيبان حتى لحق بفارس، وعامر بن ضُبارة يتبعه . وسار شيبان الى جزيرة ابن

(١٠٢) البيضاء : أكبر مدينة في كورة اصطخر ، وسميت البيضاء لأن لها قلعة تبين من بعد ويرى بياضها ، وكانت معسكراً للمسلمين يقصدونها في فتح اصطخر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٣٣٥ - ٣٣٦) .

(١٠٣) جيرفت : مدينة بكرمان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ١٨٩ - ١٩٠) .

كاوان في الخليج العربيّ ، ثم خرج منها إلى عُمان ، فقتله جُلُنْدِيّ بن مسعود بن جَيْفَر بن جُلُنْدِي الأَزْدِيّ سنة أربع وثلاثين ومئة الهجرية(٧٥١م).

وركب سليمان بن هشام بن عبدالملك الذي كان مع شيبان هو ومَنْ معه السّفن إلى السِّند ، ثم لما ولي السفّاح حضر عنده سليمان ، فأعطاه يده فقبّلها ، ثم قتله السفّاح .

وانصرف مروان بعد مسير شيبان عن الموصل إلى منزله بِحَرَّان ، فأقام بها حتى سار إلى الزّاب (١٠٤) .

٤ ـ تفاقم الخلاف :

أ ـ في سنة تسع وعشرين ومئة الهجرية (٧٤٦ م) تفاقم الخلاف بين مروان من جهة وخُصُومه الكثيرين من جهة أخرى .

فقد أظهر شيعة بني العبّاس دعوتهم ، ولم يعودوا يعملون في الخفاء ، فكتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني : « إني قد بعثت إليك براية النّصر ، فارجع من حيث لقيك كتابي ، ووجِّه إليّ قَحْطَبَة بما معك يوافِني به في الموسم » .

وانصرف أبو مسلم إلى خُراسان ، وكان في طريقه إلى مكّة للقاء إبراهيم الإمام ، ووجَّه قَحْطَبَة إلى الإمام بما معه من الأموال والعروض .

وقدم أبو مسلم مَرْوَ ، فدفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير ، يأمره فيه بإظهار الدعوة ، فنصبوا أبا مسلم وقالوا : رجل من أهل البيت ! ودعوا إلى طاعة بني العبّاس ، وأرسلوا إلى مَنْ قَرُب منهم أو بَعُد ممّن أجابهم ، وأمروهم بإظهار أمرهم .

(١٠٤) انظر التفاصيل في الطبري (٣٤٩ـ ٣٥٣) وابن الأثير (٥ / ٣٥٣ ـ ٣٥٦) .

ووجّه أبو مسلم إلى طَخارستان فما دون بَلْخ يأمر أصحابه بإظهار الدعوة في شهر رمضان ، كما وجّه إلى مَرْو الرُّوذ والطالقان وخُوارزم بإظهار الدّعوة في رمضان ، فإن أعجاهم عدّوهم دون الوقت بالأذى والمكروه ، فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ويجرِّدوا السّيوف ويجاهدوا أعداء الله ، ومَنْ شغله منهم عدّوهم عن الوقت ، فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت .

وبثّ أبو مسلم دعاته في الناس ، وأظهر أمره ، فأتاه في ليلة واحدة أهل ستين قرية .

ولما كان ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان من هذه السنة ، عقد أبو مسلم اللِّواء الذي بعث به إبراهيم الإمام الذي يُدْعَى : (الظِلّ) على رمح طوله أربع عشرة ذراعاً ، وعقد الرّاية التي بعث بها إليه ، وهي التي تدعى : (السّحَاب) على رمح طوله ثلاث عشرة ذراعاً ، ولبسوا السّواد هو وسليمان بن كثير وإخوة سليمان ومواليه ومَنْ كان أجاب الدّعوة ، وأوقدوا النيران لليلتهم لشيعتهم وكانت علامتهم ، فتجمعوا إليه حين أصبحوا ، وتأوّل (الظلّ) و (السّحاب) أنّ السِّحاب يطبِّق الأرض ، وأنّ الأرض كما لا تخلو من الظلّ كذلك لا تخلو من خليفة عبّاسيّ إلى آخر الدّهر .

وقدم على أبي مسلم الدعاة بمن أجاب الدّعوة ، فدخلوا عسكر أبي مسلم .

ولما حضر عيد الفطر أمر أبو مسلم أن يصلي سليمان بن كثير به وبالشِّيعة ، ونصب له منبرا .

فلما قضى سليمان الصّلاة ، انصرف أبو مسلم والشِّيعة إلى طعام قد أعدّه لهم ، فأكلوا مستبشرين .

ووجّه نَصر بن سيّار مولى له إلى أبي مسلم ، فوجّه أبو مسلم أحد قادته إلى مولى نصر بن سيّار ومَنْ معه ، واقتتلوا فانتصر أصحاب أبي مسلم على أصحاب نصر .

واستطاع أحد قادة أبي مسلم أن يغلب على (مَرْو الرُّوذ) ، وقتل عامل نصر بن سيار عليها .

وبثّ أبو مسلم الدّعاة في أقطار خُراسان ، فدخل الناس أفواجاً في شيعته وكثروا ، وفشت الدّعاة بخراسان كلّها (١٠٥) .

ب — ولم يقف أبو مسلم في هذه السنة موقفاً سلبياً من الحرب بين نصر ابن سيار من جهة والكرماني من جهة أخرى .

فقد سيطر الكرماني على مرو ، فأرسل له نصر ثلاثة قادة من قادته بالتعاقب ، فانتصر عليهم أصحاب الكرماني وكبّدوهم خسائر فادحة بالأرواح.

وكان أبو مسلم في أيام الاقتتال بين الجانبين يحرِّض القبائل العربية على بعضها ، وينشر فيها الفتن والاحقاد ، فأثمر تحريضه وأينع .

وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق الكرماني وخندق نصر ، فهابه الطرفان .

وبعث إلى الكرماني : « إنني معك » ، فقبل ذلك الكرماني ، فانضمّ أبو مسلم اليه ، واشتدّ ذلك على نصر ، وأصبح موقفه حرجاً للغاية .

وارسل نصر إلى الكرماني ينصحه ألاّ يغترّ بوعود أبي مسلم الخلابة وجاء في كتابه : « والله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه ، فادخل مَرْو ونكتب كتاباً بيننا بالصّلح » ، وهو يريد أن يفرِّق بينه وبين أبي مسلم ، فدخل الكرماني منزله في مَرْو ، وأقام أبو مسلم في العسكر .

وأرسل الكرماني إلى نصر : « أخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب » ، فأبصر نصر منه غِرّة ، فوجّه إليه ابن الحارث بن سُرَيح ، وكان الكرماني قد قتل أباه ، في نحوٍ من ثلاثمائة فارس ، فطعن الكرماني في خاصرته فخرّ عن

---

(١٠٥) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٥٣ — ٣٦٣) وابن الأثير (٥ / ٣٥٦ — ٣٦٣) .

دابّته . وحماه أصحابه ، حتى جاءهم ما لا قِبَلَ لهم به ، فقتَل نصر بن سيّار الكرماني ثم صلبه .

وأقبل ابن الكرماني وقد جمع جمعاً كثيراً ، فصار إلى أبي مسلم واستصحبه معه ، فقاتلوا نصر بن سيّار حتى أخرجوه من دار الإمارة ، فمال إلى بعض دور مَرْو . وأقبل أبو مسلم حتى دخل مَرْو ، وأتاه علي بن الكرماني وأعلمه أنّه معه ، وسلّم عليه بالإمرة .

وحين نزل أبو مسلم بين خندق الكرماني خندق نصر ، ورأى نصرٌ قوّته ، كتب إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة مَنْ معه ، وانّه يدعو إلى إبراهيم بن محمد الإمام ، وكتب إليه بأبيات :

أرى بَيْنَ الرَّمادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... وأخشى أَنْ يكونَ له ضِرامُ(١٠٦)
فإنّ النّار بالعُودَيْن تُذْكَى ... وأنّ الحربَ مَبْدَؤها كلامُ(١٠٧)
فقلتُ من التَعجُب ليت شِعْرِي ... أَأَيْقاظٌ أُميّةُ أم نِيامُ !

فكان جواب مروان : « إنّ الشّاهد يرى مالا يرى الغائب ، فاحْسِم الثُؤلول قِبلَك » ، فقال نصر : « أما صاحبكم فقد أعلمكم أنّه لا نَصْرَ عنده » .

وكتب نصر إلى يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة يستمدّه ، وكتب إليه هُبَيْرَة يستمدّه ، وكتب إليه بأبيات شعر :

أَبْلِغْ يَزِيدَ وخيرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ... وقد تَبَيَّنْتُ ألاَّ خَيْرَ في الكَذِبِ
إنَّ خُراسانَ أَرْضٌ قد رأيْتُ بها ... بَيْضاً لوافْرَخَ قد حُدِّثْتَ بالعَجَبِ
فِراخُ عامَيْنِ إلاَّ أنّها كبِرَتْ ... لمّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ

---

(١٠٦) في الطبري (٧ / ٣٦٥) : فأحج بأن يكون له ضرام .

(١٠٧) في الطبري : وإن الحرب مبدؤها الكلام .

إلاّ تداركْ بخيل الله مُعْلمـــةً   ألْهبْنَ نيرانَ حرْبٍ أيّما لَهبِ(١٠٨)

فقال يزيد : « لا تُكثر ، فليس له عندي رجل » !

ولما قرأ مروان كتاب نصر ، الذي وصل كتابه مع وصول رسول لأبي مسلم إلى إبراهيم الإمام ، وقد عاد من إبراهيم ومعه جوابه لأبي مسلم يسبّه فيه ويلعنه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرْمانيّ إذ أمكناه ، ويأمره ألاّ يَدع متكلّماً بالعربية في خراسان إلاّ قتله فلما قرأ مروان الكتاب ، كتب إلى عامله بالبَلْقَاء ليسير إلى (الحُمَيْمَة) (١٠٩) وليأخذ إبراهيم بن محمد ، فيشدّه وثاقاً ويبعث به إليه ، ففعل ذلك ، فأخذه مروان وحبسه (١١٠) .

وكان مروان معذوراً ، كما كان يزيد بن عمر بن هُبَيْرة عامل مروان على العراق معذوراً أيضاً ، فقد كان كلّ واحد منهما مشغولاً بمعالجة الفتن والاضطرابات الناشبة في ارضه ، فكان على نصر بن سيّار أن يصطلى بناره ، دون انتظار المعونة العاجلة أو الآجلة من أحد .

ج– وفي هذه السنة أيضاً ظهر أمر أبي مسلم وسار إليه الناس ، وجعل أهل مَرْو يأتونه ولا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم ، وأبو مسلم في خباء ليس له حرس ولا حُجّاب . وعَظم امره عند الناس ، وقالوا : ظهر رجل من بني هاشم ، له حلم ووقار وسكينة ، فانطلق إلى أبي مسلم فتية من أهل مَرْو يطلبون الفقه ، فسألوه عن نسبه فقال : « خيري خير لكم من نسبي » ، وسألوه أشياء من الفقه فقال : « أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هـــذا ونحن إلى عونكم أحوج منا إلى مسألتكم ، فاعفونا » .

---

(١٠٨) الثؤلول : بثر صغير صلب مستدير ، يظهر على الجلد كالحمصة أو دونها .

(١٠٩) الحميمة : بلد من أرض السراة من إعمال عمان في أطراف الشام ، منزل بني العباس ، انظر معجم البلدان (٣ / ٣٤٦) .

(١١٠) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٦٧ – ٣٧١) وابن الأثير (٥ / ٣٦٣ – ٣٦٦).

وعادوا أدراجهم خائبين ، لا يعرفون لأبي مسلم نسبا ، ولا يجدون عنده فقها .

ووجد نَصْرُ العربَ متفرقين ، كأنّهم لا يشعرون بالخطر المحدق بهم ، فقال شعراً يخاطب به العرب ويحثّهم على الإتّفاق معه على حرب أبي مسلم :

أبْلِغْ ربيعةَ في مَرْوٍ وفي يَمَنٍ أن اغضبوا قبل ألا ينفع الغضبُ
ما بالكم تُنشبون الحربَ بينكُمُ كأنّ أهل الحِجَى عن رأيكم غُيُبُ
وتتركونَ عدوّاً قد أحاطَ بكم ممّنْ تأشّبَ لا دِيْنٌ ولا حَسَبُ
لا عُرْبَ مثلكُمُ في النّاس نَعْرِفُهُمْ ولا صَرِيْحَ موالٍ إنْ هُمُ نُسِبُوا
مَنْ كان يَسْأَلُنِي عن أصلِ دينهم فإنّ دينَهُمُ أنْ تَهْلِكَ العَرَبُ
قومٌ يقولون قولاً ما سمعتُ به عن النّبِيّ ولا جاءَتْ به الكُتُبُ

وعزم العرب على الاتّفاق لمحاربة أبي مسلم دفاعاً عن أنفسهم ، ولكنهم اتّفقوا على ألاّ يتّفقوا ، فما زال أمرهم في هبوط ، وأمر أبي مسلم في صعود ، حتى استطاع اكتساحهم لا لقوّته التي لا تُقهر ، ولكن لتفرّقهم الذي لا يلتئم (١١١) .

د ـ وفي هذه السنة لم تقتصر الفوضى على خُراسان ، بل شملت معظم أجزاء الدولة ، فقد غلب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب على فارس وكُوَرها ، فلما قدم ابن هُبيرة العراق والياً ، بعث إليه مَنْ يحاربه ، فانتصر عليه ، وهرب ابن معاوية إلى أصحاب أبي مُسلم ، فأمر بقتله (١١٢) .

وبلغ الاستهتار بسلطة الدولة والعبث بهيبتها مبلغاً جعل الخوارج يحضرون موسم الحج وعلى رأسهم أبو حمزة الخارجي ، معلنين الخلاف لمروان وآل

(١١١) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٦٣ – ٣٦٧) وابن الأثير (٥ / ٣٦٦ – ٣٧٠) .
(١١٢) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٧١ – ٣٧٤) وابن الأثير (٥ / ٣٧٠ – ٣٧٣).

مروان ، فأخلى عامل مروان مكة المكرّمة ، ودخلها أبو حمزة بغير قتال (١١٣)

وقصد عامل مروان المدينة المنورة ، فبعث جيشاً من المدينة لقتال أبي حمزة ، وكان جيش المدينة مترفاً لا علم له بالحرب ولا يصبر عليها ، فقضى عليه أبو حمزة قضاءً مبرما ، ودخل المدينة المنوّرة ،ومضى عاملها وهو عبدالواحد ابن سليمان بن عبدالملك بن مروان إلى الشّام .

وخرج أبو حمزة من المدينة المنوّرة يريد الشّام ، فالتقى في الطريق بجيش مروان الذي بعثه لقتاله ، فقُتل أبو حمزة وكثير من رجاله (١١٤) .

هـ — وفي هذه السنة أيضاً ، مات أمير الأندلس ثوابة بن سلامة ، فاختلف الناس : المُضَريّة أرادت أن يكون الأمير منهم ، واليمانيّة أرادت أن يكون الأمير منهم ، فبقوا بغير أمير .

وخاف الصُّمَيْل الفتنة ، فأشار بأن يكون الوالي من قريش ، فرضوا كلّهم بذلك ، فاختار لهم يوسف بن عبدالرحمن الفِهْرِيّ ، وكتبوا إليه بما اجتمع عليه الناس من تأميره ، فلم يوافق على تسنّم هذا المنصب الرّفيع ، فقالوا له : « إنْ لم تفعل وقعت الفتنة ، ويكون إثم ذلك عليك » ، فأجاب حينئذٍ ، وسار إلى قُرطبة فدخلها ، وأطاعه النّاس .

فلما انتهى الامر إلى أبي الخطّار حول ولاية يوسف قال : « إنّما أراد الصُّمَيْل أن يصير الأمر إلى مُضَر » ، وسعى في النّاس حتى ثارت الفتنة بين اليمن ومُضَر .

وحين رأى يوسف نشوب الاختلاف ، فارق قصر الإمارة بقرطبة وعاد إلى منزلة .

(١١٣) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٧٤ — ٣٧٦) وابن الأثير (٥ / ٣٧٣ — ٣٧٥) .
(١١٤) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٩٣ — ٣٩٩) وابن الأثير (٥ / ٣٨٨ — ٣٩١) .

واجتمعت اليمانيّة إلى أبي الخطّار ، واجتمعت المضريّة إلى الصُّميل ، وتزاحفوا واقتتلوا أياماً كثيرة لم يكن بالأندلس قتال أعظم منه ولا أعنف فانجلت الحرب عن هزيمة اليمانية .

ومضى أبو الخطّار منهزماً ، فاستتر في رحى كانت للصُّميل ، فدُلّ عليه ، فأخذه الصُّميل وقتله .

ورجع يوسف بن عبدالرحمن إلى قصر الإمارة في قُرطبة ، وازداد الصُّميل شرفاً ، وكان اسم الإمارة ليوسف والحكم إلى الصُّميل !

وخرج على يوسف بن عبدالرحمن ابن علقمة اللخميّ بمدينة أَرَبُونَة ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى قُتل وحُمل رأسه إلى يوسف .

وخرج عليه عُذْرة المعروف بالذِّمّي ، وإنّما قيل له ذلك لأنّه استعان بأهل الذِّمّة ، فوجّه إليه يوسُف عامرَ بن عمرو ، وهو الذي تنسب إليه مقبرة عامر من أبواب قُرطبة ، فلم يظفر به وعاد مفلولاً ، فسار إليه يوسف ابن عبدالرحمن ، فقاتله وقتله واستباح عسكره (١١٥) .

٥ ـ الفيضان

أ ـ كانت سنة ثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٧ م) سنة الفيضان بالخلاف والفتن والاضطرابات والقلاقل وسفك الدماء بالنسبة لمروان والدولة ، فقد ضاعت المقاييس وتردّت الأحوال وشاعت الفوضى وذهبت هيبة الخلافة والدولة ، وأصبح الخلاف هو القاعدة والأمن هو الاستثناء .

فقد دخل أبو مسلم الخُراسانيّ مَرْو وبايعه الناس بها ، وأصبح الحاكم بأمره في خُراسان كلّها .

واتّفق علي بن الكرماني مع أبي مسلم ، وكان السبب في ذلك أنّ ابن

(١١٥) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٥ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦) .

الكرماني ومَنْ معه وسائر القبائل العربية بخراسان لما عاقدوا نَصْراً على أبي مسلم ، عظم عليه وجمع أصحابه لحربهم ، فكان سليمان بن كَثير بإزاء ابن الكرماني ، فقال له سليمان: « إنّ أبا مسلم يقول لك : أما تأنف من مصالحة نصر ، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ؟ ! ما كنت أحسبك تجامع نصراً في مسجد تصليان فيه ! ! » ، فأحفظه هذا الكلام ، ورجع عن رأيه ، وانتقض صلح العرب .

وبعث نصر إلى أبي مسلم ، يلتمس منه أن يدخل مع مُضَر ، وبعث أصحاب ابن الكرماني ، وهم ربيعة واليمن ، إلى أبي مسلم بمثل ذلك ، وراسلوه بهذا أياماً ، فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما ، وأمر أبو مسلم شيعته أن تختار ربيعة واليمن ، فإنّ الشّيطان — كما قال لهم — في مضَر ، لأنهم أصحاب مروان وعمّاله وقتلة يحيى بن زيد .

وقدم الوفدان ، فجلس أبو مسلم وأجلسهم ، وجمع عنده من شيعته سبعين رجلاً ، ليختاروا أحد الفريقين ! .

وقام سليمان بن كثير من شيعته ، فتكلم ، وكان خطيباً مفوّهاً ، فاختار ابن الكرماني وأصحابه ، وقام آخر فاختارهم أيضاً ، ثم قام ثالث فقال : « إنّ مُضَر قتلة آل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأعوان بني أُميّة وشيعة مروان وعمّاله ، ودماؤنا في أعناقهم ، وأموالنا في أيديهم ، ونصر بن سيّار عامل مروان ينفّذ أموره ويدعو له على منبره ويسميه : أمير المؤمنين ، ونحن نبرأ إلى الله عزّ وجلّ أن يكون نصر على هدًى ، وقد اخترنا عليّ بن الكرماني وأصحابه » ، فوافق السبعون من شيعة أبي مسلم على هذا الكلام ، واختاروا ابن الكرمانيّ وأصحابه .

ونهض وفد نصر عليهم الكآبة والذلّة ، ورجع وفد ابن الكرمانيّ منصورين. وعاد أبو مسلم إلى مقرّه ، وأمر الشيعة أن يبنوا المساكن ، فقد أغناهم

الله من اجتماع كلمة العرب عليهم .

وارسل ابن الكرماني إلى أبي مسلم ، ليدخل مدينة مرو من ناحيته ، وليدخل هو وعشيرته من الناحية الأخرى ، فأرسل إليه أبو مسلم : « إني لستُ آمن أن تجتمع يدك ويد نصر على محاربتي ، ولكن ادخلْ أنتَ ، فأنْشِبِ الحربَ مع أصحاب نصر » .

ودخل ابن الكرماني ، فأنشب الحربَ ، وبعث أبو مسلم أحد قادته في خيل ، فدخلوا مَرْو ، ونزل قائد أبي مسلم في قصر الإمارة ، ثم بعثوا إلى أبي مسلم ليدخل إليهم ، فدخل مرو ، والفريقان يقتتلان !

ومضى أبو مسلم إلى قصر الإمارة ، وأرسل إلى الفريقين : أن كفّوا ، ولينصرف كلّ فريق إلى عسكره ، فتوقّف الاقتتال ، وصفت الأمور في مرو لأبي مسلم .

وأمر أبو مسلم بأخذ البيعة من الجند ، وكانت البيعة : أبايعكم على كتاب الله وسنّة رسوله محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطّلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله الحرام ، وعلى تسألوا رزقاً ولا طعماً حتى يبتدئكم به ولاتكم » (١١٦) .

وخرج نصر بن سيّار من مرو لآخر مرّة ، ولم يَعُد إليها بعد خروجه الأخير أبدا .

وما كان أبو مسلم الخراساني يؤمن بالشّعار البرّاق الذي رفعه ، وهو الشّعوبي الحاقد ، ولكنه رفع هذا الشّعار ليستقطب به الناس تحت لوائه ، لأنّ الناس أصبحوا لا يثقون بالدولة ورجالها ، فاستهواهم شعار أبي مسلم وشيعته ، دون أن يعرفوا في حينه أنّ أبا مسلم وأصحابه أشدّ ضلالاً من الدولة ورجالها ،

---

(١١٦) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٧٧ – ٣٨٥) .

فلما اكتشفوا حقيقة أبي مسلم وأنصاره الذين كان شعارهم الحقيقي : القضاء على كلّ عربي في خراسان، كان الوقت المناسب قد ضاع إلى الأبد !

وهكذا أرادوا النجاة إلى طريق الحق، فضلّوا ضلالاً بعيدا .

ب – وبدأت في هذه السنة التصفيات الجسدية بالنسبة للعرب ، لا فرق بين المتعاونين مع ابي مسلم والذين كانوا يقاتلون نصراً كما كان أبو مسلم يقاتله ، وبين الذين كانوا محايدين أو كانوا غيرمتعاونين معه .

فقد كان شيبان بن سَلِمَة الخارجيّ يقاتل نصراً بالتعاون مع ابن الكرمانيّ ، لأنّ نصراً من عمّال مروان ، وشيبان يرى رأي الخوارج ، ومخالفة ابن الكرمانيّ نصراً لانّ نصراً قتل أباه، ولأن نصراً مُضَريّ ، وابن الكرمانيّ يمانيّ ، وبين الفريقين من العصبية ما هو مشهور. فلما صالح ابن الكرماني أبا مسلم على ما تقدم وفارق شيبان، تنحّى شيبان عن مَرْو إذ علم أنه لا يقوى على حرب أبي مسلم وحليفه ابن الكرمانيّ، بعد أن غادر نصر مرو إلى الأبد .

ولمّا استقام الأمر لابي مُسْلم في مَرْو ، أرسل إلى شيبان يدعوه إلى البيعة ، فقال شيبان : « أنا أدعوك إلى بيعتي ! » ، فأرسل إليه أبو مسلم : « إن لم تدخل في أمرنا ، فارتحل عن منزلك الذي أنت به ! » .

وأرسل شيبان إلى ابن الكرمانيّ يستنصره، فرفض ابن الكرماني أن ينصره. وبعث أبو مسلم أحد قادته، فقتل شيبان وعدداً من بكر بن وائل العرب(١١٧).

وثنّى أبو مسلم بقتل عليّ بن الكرمانيّ وأخيه عثمان بن الكرمانيّ ، فقد اتّفق أبو مسلم أن يقتل حليفه عليّ بن الكرمانيّ ويقتل قائده المدعو: أبو داود عثمان الكرماني ، فقتل ابو داود عثمان وقتل من أصحابه العرب خلقاً كثيراً أما أبو مسلم قد أمر عليّ الكرمانيّ أن يسمّي له خاصته . ليولّيهم ويأمر لهم

(١١٧) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٨٥ – ٣٨٦) وابن الأثير (٥ / ٣٨٢ – ٣٨٣).

بجوائز وكسوات ، فسمّاهم له ، فقتله أبو مسلم وقتل أصحابه جميعاً(١١٨) !

وهذا هو مصير الذي يوالي أعداء قومه على قومه !

وغلب أبو مسلم على خُراسان ، وبعث عمّاله على البلاد ، فقتل قَحْطبةُ ابن شبيب أحد قادة أبي مسلم بضعة عشر ألفاً ، وقتل قائد آخر من قادته ثلاثين ألفاً (١١٩) كلهم من العرب .

ج- ولم تتوقف في هذه السنة التصفيات الجسديّة التي نفّذها أبو مسلم بالعرب المسلمين عند هذا الحد ، بل امتدّت إلى جُرْجان أيضاً .

فقد أقبل قَحْطبة إلى جُرْجان ، وكان فيها نُباتة بن حَنْظَلَة عامل يزيد ابن هُبَيْرَة عليها ، فقال قَحطبة : « يا أهل خُراسان ! أتدرون إلى مَنْ تسيرون ؟ ! ومَنْ تقاتلون ؟ ! إنّما تقاتلون بقيّة قوم حرقوا بيت الله تعالى ! ».

وقدم قَحطبة ، فنزل بإزاء نُباتة ، ومعه نَصْر بن سيّار ، وقد خندقوا عليهم ، فلما رآهم أهل خُراسان هابوهم وتكلموا في ذلك وأظهروه ، لأنّ قوّات نُباتة كانت في عدّة لم ير النّاس مثلها . وبلغ قَحطبة خوف جيشه من جيش الدولة ، فقام فيهم خطيباً فقال : « يا أهل خُراسان ! هذه البلاد كانت لآبائكم ، وكانوا يُنْصَرون على عدوّهم ، لعدلهم وحسن سيرتهم ، حتى بدّلوا وظلموا ، فسخط الله عزّ وجلّ عليهم ، فانتزع سلطانهم وسلّط أذلّ أمّة كانت في الأرض عندهم ، فغلبوهم على بلادهم ، وكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ، ثمّ بدّلوا وغيّروا وجاروا في الحكم ، وأخافوا أهل البرّ والتّقوى من عترة رسول الله ، فسلّطكم عليهم لينتقم منهم بكم ، لتكونوا أشدّ عقوبة ، لأنكم طلبتموهم بالثأر ، وقد عهد

---

(١١٨) الطبري (٧ / ٣٨٦ – ٣٨٨) وابن الأثير (٥ / ٣٨٣ – ٣٨٥) .

(١١٩) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٨٨ – ٣٩٠) وابن الأثير (٥ / ٣٨٦ – ٣٨٧) .

إليّ الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدّة ، فينصركم الله عزّ وجلّ عليهم ، فتهزمونهم وتقتلونهم » .

والتقى الفريقان يوم الجمعة من شهر ذي الحجة ، فقال قَحطبة لأصحابه : « إنّ الإمام أخبرنا أنكم تُنصرون على عدوكم هذا اليوم من هذا الشّهر » ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . فقتل من أهل الشّام عشرة آلاف من العرب المسلمين ، وقتل نُباتة ، وبعث إلى أبي مسلم برأسه (١٢٠) .

وكان نصّ رسالة أبي مسلم إلى قَحطبة : « أما بعد ، فناهض عدوّك ، فإنّ الله عزّ وجلّ ناصرك ، فإذا ظهرت عليهم فأثخن في القتل » (١٢١) .

وهذا هو بيت القصيد : أن يُثْخن في قتل العرب المسلمين .

ولم تكد تجفّ دماء العرب المسلمين في جُرجان ، إلاّ وقتل قَحْطبة بن شبيب من أهل جُرجان ما يزيد على ثلاثين ألفاً ، لأنّه بلغه عنهم بعد قتل نُباتة أنّهم يريدون الخروج عليه ، فدخل إليهم واستعرضهم وقتل منهم صبراً هذا العدد الضخم من الرجال (١٢٢) .

د ـ وكأن هذه التصفيات الجسدية للعرب المسلمين في خراسان وما وراء النّهر وجُرجان والمشرق الإسلامي عامة لم تكن كافية في هذه السّنة ، فقد كان في الحجاز حرب بين جيش الدولة والخوارج تكبّد فيها الجانبان خسائر جسيمة (١٢٣) ، وكان في اليمن حروب طاحنة بين جيش الدولة وجيش عبدالله بن يحيى الملقب بطالب الحق تساقط من الجانبين خسائر فادحة (١٢٤)

(١٢٠) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٩١ – ٣٩٣) وابن الأثير (٥ / ٣٨٧ – ٣٨٨).
(١٢١) الطبري (٧ / ٣٩٢) .
(١٢٢) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٠١ – ٤٠٢) وابن الأثير (٥ / ٣٩٢ – ٣٩٣) .
(١٢٣) الطبري (٧ / ٣٩٣ – ٣٩٩) .
(١٢٤) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٠٠) وابن الأثير (٥ / ٣٩٢) .

وهكذا تكسّرت النِّصال على النِّصال ، وكان العرب المسلمون هم الخاسرين في هذا الصِّراع المرير .

٦ - الطوفان

أ. ودخلت سنة إحدى وثلاثين ومئة الهجرية ، فأصبح الفيضان المتمثل بالفوضى والانحلال في الدولة فيضاناً ، فقد استمكن أبو مسلم الخُراساني من خُراسان والمشرق الاسلامي ، ومات نصر بن سيّار الذي لم يقصِّر في الدفاع عن خُراسان وفي فضح أخطار عمليات أبي مسلم وسوء نيته وحقده الدفين على العرب المسلمين ، فكشف قبل غيره مبكراً مايهدف اليه أبو مسلم في دعوته الشعوبيّة بالخطب والرسائل النثرية والشعرية أيضاً التي وجهتها إلى مروان وعامله على العراق ابن هُبَيْرَة وقادة العرب المسلمين في خراسان وفي المشرق الاسلامي ، ولكن جهوده وجهاده ذهبت أدراج الرياح ، لأنّ الدولة وبخاصة رئيسه المباشر ، وهو ابن هبيرة لم ينصره كما ينبغي وكان قادراً على نصره بلا مراء ، ولأنّ الناس في خُراسان انجرفوا بتيار شعارات أبي مسلم الزائفة التي لم يلتزم بحرف منها ، فلما اشتد عضده بدأ بتصفية أنصاره وأعدائه من العرب والمسلمين . وحينذاك قدم الذين عاونوه من العرب المسلمين حين لاينفع الندم .

ولعلّ موت نصر بن سيّار هو المؤشر الرئيسي للطوفان الجارف الذي أتى على الدولة وعلى العرب المسلمين ، فاقتلع الدولة من جذورها ، وجعل من العرب المسلمين مواطنين من الدرجة الثانية ، وجعل من الشعوبيين مواطنين من الدرجة الأولى (١٢٥) .

---

(١٢٥) انظر تفاصيل موت نصر بن سيار في الطبري(٧/٤٠٣-٤٠٤) وابن الأثير(٥/ ٣٩٥ - ٣٩٦) .

ب. ولما مات نصر ، تقدّمت قادة بني العبّاس إلى (الرَّيّ) (١٢٦) ، فدخلها الحسن بن قَحطبة بدون مقاومة تقريباً .

وحين استقرّ أمر قادة أبي مسلم بالريّ ، هرب أكثر أهلها لميلهم إلى بني أمية ، فأمر أبو مسلم بمصادرة أملاكهم وأموالهم .

وأخذ قَحطبة أمره في الريّ بالحزم والاحتياط وضبط الطرق، وكان لايسلكها أحد إلاّ بجواز منه .

وبلغ قَحطبة أنّ بـ (دَسْتَبى) (١٢٧) قوماً من الخوارج وصعاليك تجمعوا بها ، فوجّه إليهم أحد قادته في عسكر كثيف ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى ظفر بهم ، فتحصّن عددٌ منهم حتى آمنهم ، وأقام معه بعضهم وتفرّق بعضهم .

وكتب أبومسلم إلى ملك طَبرستان يدعوه إلى الطّاعة وأداء الخراج ، فأجابه إلى ذلك .

وكتب إلى صاحب (دُنْباوَنْد) (١٢٨) بمثل ذلك ، فأجابه : إنّما أنتَ خارجيّ ، وإنّ أمرك سينقضي » .

وغضب أبو مسلم ، وكتب إلى أحد قادته بالرَّيّ يأمره بالمسير إلى دنباوند وقتاله ، إلى أن يذعن بالطّاعة .

وسار إليه القائد وراسله ، فامتنع من الطّاعة وأداء الخراج ، فأقام القائد محاولاً إخضاعه ، ولكنه عجز عن ذلك لوعورة بلاده وصعوبتها ، وكان صاحبها يرسل إلى قائد أبي موسى كل يوم عدّة كثيرة من الدَيْلَم يقاتله

(١٢٦) الري : مدينة مشهورة تعتبر قصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخاً وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً ، انظر معجم البلدان (٤ / ٣٥٥) .

(١٢٧) دستبى : كورة كبيرة مقسومة بين الري وهمذان ، انظر معجم البلدان (٤ / ٥٨) .

(١٢٨) دبناوند : جبل بنواحي الري ، انظر معجم البلدان (٤ / ٨٩) .

في عسكره ، وأخـذ عليه الطرق ، ومنع المِيرَة ، وكثرت في أصحاب ذلك القائد الجراح والقتل ، فلما رأى أنّه لايبلغ غرضاً عاد إلى الرَّيّ بخُفَّي حُنَيْن .

ولما ورد كتاب قَحطبة على أبي مسلم بنزوله الرّي ، ارتحل أبو مسلم عن مَرْو ونزل نَيْسَابور .

وأما قَحطبة ، فإنّه سيرّ ابنه الحسن بعد نزوله الرَّيّ بثلاث ليالٍ إلى هَمَذان ، فسار عنها حماتها من أتباع الدولة إلى (نَهَاوَنْد) (١٢٩) ، وفرض الحصار عليها الحسن بن قُحطبة (١٣٠) .

ج – وفي هذه السنة قتل عامِر بن ضُبارة أكبر قادة الدولة بعد نصر ابن سيّار ، في معركة حاسمة بين جيش الدولة وقوّات أبي مسلم الخُراساني

فقد ذكرنا أنّ ابن ضُبارة هزم عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، فهرب الأخير إلى خُراسان وسلك إليها طريق كَرْمان ، فسار ابن ضُبارة في أثره .

وبلغ ابن هبيرة مقتلُ نُباتة بن حَنْظلة بجُرجان ، فكتب إلى ابن ضُبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر بن هُبيرة أن يسيرا إلى قحطبة ، وكانا في كَرمان ، فسارا في خمسين ألفاً ، ونزلوا بأصبهان ، وكان يقال لعسكر ابن ضُبارة : عسكر العساكر .

وبعث قَحطبة إليهما جماعة من القوّاد ، وعليهم جميعاً مُقَاتِل بن حكيم العَكّيّ ، فساروا حتى نزلوا مدينة (قُمّ) (١٣١) .

---

(١٢٩) نهاوند : مدينة عظيمة في قبلة همذان ، بينهما ثلاثة أيام ، انظر التفاصيل في معجم البلدنا (٨ / ٣٢٩ – ٣٣٢) .

(١٣٠) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٠٤ – ٤٠٥) وابن الأثير (٥ / ٣٩٧ – ٣٩٨) .

(١٣١) قم : مدينة تذكر مع قاشان ، تقع بين اصبهان وساوة ، بينها وبين ساوة اثنا عشر فرسخاً ومثله بينها وبين قاشان انظر معجم البلدان (٧ / ١٥) .

وبلغ ابن ضُبارة نزول الحسن بن قحطبة بنهاوند ، فسار ليعين مَن بها من أصحاب مروان ، فأقبل قَحطبة من الرَّيّ حتى لحق مقاتلَ بن حكيم العَكّيّ .

وتوجّه قَحطبة نحو ابن ضبارة وداود بن يزيد بن هبيرة ، وكان عسكر قَحطبة عشرين ألفاً .

وأمر قَحطبة بمصحف فنصب على رمح ، ونادى : « ياأهل الشّام ! إنّا ندعوكم إلى مافي هذا المصحف ! » فشتموه وأفحشوه في القول ، لأنهم يعلمون أنّ قوله يخالف عمله .

وأمر قَحطبة أصحابه بالحملة ، فحمل العَكّيّ على جيش ابن ضُبارة : فانهزم أهل الشّام بدون مقاومة تذكر ، فقُتلوا قتــلاً ذريعاً بلا هوادة ولا رحمه .

وانهزم ابن ضُبارة حتى دخل عسكره ، وانهزم ابن هبيرة ايضاً ، فأتبع قَحطبة ابن ضُبارة وقتله .

وأصاب قَحطبة عسكر ابن ضبارة ، فأخذ منه مالا يُعلم قدره من السّلاح والمتاع والرّقيق والخيل ، ومارُئى قط عسكر فيه أصناف الأشياء مافي هذا العسكر ، كأنّه مدينة كاملة .

وكانت هذه المعركة بشهر رجب من هذه السنة بنواحي أصبهان (١٣٢)

وقد أثرت هذه المعركة في معنويات جيش الدولة فانهارت ، وفي معنويات قوات أبي مسلم فارتفعت ، كما تحسنت القضايا الادارية في جيش أبي مسلم اثراء ماغنموه من عسكر ابن ضبارة .

د. وفي هذه السنة ، وبعد انتصار قَحطبة في أصبهان على جيش الدولة

---

(١٣٢) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٠٥ – ٤٠٦) وابن الأثير (٥ / ٣٩٨ – ٣٩٩) .

وقتل قائد من أبرز قادتها ، كتب قَحطبة إلى أبنه الحسن هو يحاصر نَهاوند يبشره بانتصاره وقتل ابن ضُبارة ، فكبّر أصحاب ابن قَحطبة ، ففتّ ذلك في عضد المحاصَرين في نهاوند من قوّات الدولة ، فاقترح أحد قادتهم أن يخرجوا لقتال ابن قَحطبة قبل أن يأتيه أبوه أو مدد من عنده ، فاذا أخفقوا تفرّقوا في البلاد ، كلّ واحد أو مجموعة في البلد الذي يأويهم ويأمنون فيه على أرواحهم .

ولكنّ الرَّجّالة من المحاصَرين قالوا : تخرجون وأنتم فرسان على خيول وتتركوننا ؟ ! .

وأقام قَحطبة على أصبهـــان عشرين يوماً ، ثم سار فقـــدم على ابنه بنَهاوند ، فحصرهم ثلاثة أشهر : شعبان ورمضان وشوّال ، ووضع عليهم المجانيق ، وضيّق عليهم الحصار .

وأرسل إلى أهل الشّام يدعوهم إلى الاستسلام وأعطاهم الأمان ، ففتحوا له الباب .

وخرج الذين لم يوافقوا على الاستسلام ، فدفع قَحطبة الأسرى إلى قادته ، ثم أمر فنودي : مَنْ كان بيده أسير ممَنْ خرج إلينا ، فليضرب عنقه ، وليأتنا برأسه .

وقُتل الأسرى، فلم يبق أحد ممَنْ كان قد هرب من أبي مســـلم إلاّ قُتل ، إلاّ أهل الشّام ، فأنّه وَفى لهم وخلّى سبيلهم، وأخذ عليهم عهداً ألاّ يمالئوا عليه عدواً .

ولما حاصَر قَحطبة نَهاوند ، أرسل ابنه الحسن إلى (بُرْجِ القَلْعَة)(١٣٣) ،

(١٣٣) برج القلعة : برج بينه وبين حلوان مرحلة ، وهو من حلوان إلى جهة همذان ، انظر معجم البلدان (٨ / ١٦) .

فاستولى على (حُلْوان) (١٣٤) التي انسحب منها حماتها (١٣٥) .

هـ. وفي هذه السنة أيضاً استمر تطبيق الخُطّة المرسومة لتطهير خُراسان وماحولها من بلاد المشرق الاسلامي بالتدريج من العرب المسامين ، والتقدّم لتطهير العراق من قوّات الدولة ، والاستيلاء عليها من قبل قوّات أبي مسلم الخُراساني ، وبعد الاستيلاء على بلاد الجبال ، جاء دور منطقة شَهْرَزُوْر فبعث قحطبة للاستيلاء عليها أربعة آلاف مقاتل بقيادة قائدين من أهل خُراسان ، فنزلوا على فرسخَين من شهرزور في العشرين من ذي الحجة ، وقاتلوا عثمان ابن سفيان الذي كان على مقدّمة عبدالله بن مروان بن محمد بن الحكم وهو ابن الخليفة بعد يوم وليلة من نزولهم ، فانهزم أصحاب عثمان وقُتل عثمان ، وأقام قائداً قَحطبة في بلاد الموصل .

وسيّر قَحطبة العساكر مدداً لقائديه ، فاجتمع معهما ثلاثون ألفاً .

ولما بلغ مروانَ خبر هذه الهزيمة ، وكان يومها بحرّان ، سار منها ومعه جنود أهل الشّام والجزيرة والموصل ، وحشر معه بنو أُمَيّة أبناءهم ، وأقبل حتى نزل نهر الزّاب الكبير (١٣٦) .

و. وفي هذه السّنة أيضاً ، خرج يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة نحو قَحطبة في عدد كثير لايُحصى ومعه حَوْثرة بن سُهَيْل الباهِلِيّ ، وكان مروان أمدّ به ابن هُبَيْرَة .

وسار ابن هُبَيرة حتى نزل (جَلُولاء) (١٣٧) ، واحتفر الخندق

---

(١٣٤) حلوان : حلوان العراق ، وهي في آخر حدود السواد ، بين جلولاء وهمذان ، ، انظر معجم البلدان (٣ / ٣٢٢) .

(١٣٥) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٠٧ – ٤٠٩) وابن الأثير (٥ / ٣٩٩ – ٤٠٠) .

(١٣٦) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٠٩) وابن الأثير (٥ / ٤٠٠ – ٤٠١) .

(١٣٧) جلولاء : منطقة من مناطق السواد في طريق خراسان ، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ ، تقع على نهر عظيم يمتد إلى بعقوبة (نهر ديالى) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ١٢٩ – ١٣٠) ، ومكانها معروف اليوم .

الذي كانت العجم قد احتفرته أيام معركة جلولاء في الفتح الاسلامي سنة ست عشرة الهجرّية (٦٣٧ م) ، وأقام ابن هُبيرة في هذا الخندق .

وأقبل قحطبة حتى نزل (قَرْمِيسِيْن) (١٣٨) ، ثمّ سار إلى حُلوان ، ثمّ إلى (خَانِقِيْن) (١٣٩) وأتى (عُكْبَرَاء) (١٤٠) ، وعبر دجلة ومضى حتى نزل (دِمِمّا) (١٤١) دون (الأنبار) (١٤٢) .

وارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفاً مبادراً إلى الكوفة لمواجهة قَحطبة وقدّم حَوْثرة في خمسة عشر ألفاً إلى الكوفة .

وقيل : إنّ حوثرة لم يفارق ابن هُبَيْرة ، والأول أصحّ ، لأنّ ابن هبيرة لابدّ أن تكون له مقدّمة ، وحوثرة يومئذ أبرز قادته ، فمن المعقول أن يعهد إليه بهذا الواجب دون غيره من القادة .

وأرسل قَحطبةُ طائفة من أصحابه إلى الأنبار ، وأمرهم باحدار مافيها من السفّن إلى (دِمِمّا) ليعبروا الفرات ، فحماوا إليه كلّ سفينة هناك ، فقطع قحطبةُ الفرات حتى صار في غربيّه ، ثم سار يريد الكوفة ، حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هُبَيرَة .

---

(١٣٨) قرميسين : بلد بينه وبين همذان ثلاثون فرسخاً ، قرب الدينور ، وهي بين همذان وحلوان ، على جادة الحج ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧ / ٦٣) .

(١٣٩) خانقين : بلد من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد ، بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال ، ومن قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٣٩٢ - ٣٩٣) ، وهي مدينة عراقية معروفة اليوم .

(١٤٠) عكبراء : بليدة من نواحي دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٢٠٣) .

(١٤١) دما : قرية كبيرة على الفرات قرب بغداد عند الفلوجة ، انظر معجم البلدان (٤/٨٣) .

(١٤٢) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ ، انظر معجم البلدان (١ / ٣٤٠ - ٣٤٢) ، وهي قريبة جداً من مدينة الفلوجة المعروفة اليوم وأطلا لها قائمة معروفة .

وخرجت هذه السنة (١٤٣) ، وجاء ت السنة الجديدة ، وكانت المنصرمة سنة أصبحت المبادرة خلالها بيد قوّات أبي مسلم الخراساني ، وفقدت الدولة المبادرة فيها نهائياً ، وكانت سنة انتصارات بالنسبة لقوّات أبي مسلم ، وسنة اندحارات بالنسبة لقوات الدولة ، مما جعل قوات أبي مسلم تتمتّع بالمعنويات العالية ، وقوّات الدولة تعاني من انهيار معنوياتها .

٧ – الكارثة

أ. دخلت سنة اثنتين وثلاثين الهجريّة (٧٤٩ م) ، وهي سنة الكارثة التي قضت على دولة وجاءت بدولة جديدة : قضت على الدولة التي كان العرب المسلمون فيها مواطنين من الدرجة الأولى ، وجاءت بدولة أصبح فيها العرب المسلمون مواطنين من الدرجة الثانية ، فانقضى عهد الدولة الواحدة ، وحلّ عهد الدول المتفرقة ، وانقضى عهد الفتح ومضى إلى غير رجعة ، وابتدأ عهد الدفاع المُسْتَكِنّ ، وتكاثرت الهزائم والمصائب والنكبات على العرب المسلمين في كل مكان .

لقد سقطت الدولة العربية في هذا العام ، والعرب مادة الاسلام بلا مراء.

فقد عبر قَحطبة هذه السنة في شهر المحرّم لثمانٍ مضين منه ، نهر الفرات وصار في غربيّة ، وكان ابن هُبيرة قد عسكر في فم الفرات من أرض الفَلّوجَة التي تقع على الفرات غربي بغداد وعلى مسافة ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة ، وقد اجتمع إليه فلول جيش ابن ضُبارة ، وأمدّه مروان بحَوْثَرة الباهليّ ، فقال حوثرة وغيره لابن هُبَيرة : « إنّ قَحطبة قد مضى يريد الكوفة ، فاقصد أنتَ خُراسان ، ودَعْه ومروان ، فإنّك تكسره ، وبالحريّ أن يتبعك » ، فقال : « ما كان ليتبعني ويدع الكوفة ، ولكنّ الرأي أن ابادره إلى الكوفة » .

---

(١٤٣) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤١٠) وابن الأثير (٥ / ٤٠١ – ٤٠٢) .

واستعمل ابن هبيرة على مقدّمته حوثرة ، وأمره بالمسير إلى الكوفة ، وكان الفريقان يسيران على جانبي الفرات .

وقال قحطبة لرجاله : « إنّ الامام أخبرني أن لي في هذا المكان وقعة ، يكون النّصر فيها لنا » .

ونزل قحطبة (الجباريّة) (١٤٤) في طريقه إلى الكوفة ، وقد دلّوه على مخاضة ، فعبر منها وقاتل حوثرة ، فانهزم أهل الشّام .

ولكنّ جيش قَحطبة فَقَدَ قَحطبة ، فقال أصحابه : مَنْ كان عنده عهد من قحطبة ، فليخبرنا به ! فقال مُقاتل بن مالك العَتَكِي : « سمعتُ قحطبة يقول : إن حدثَ بي حَدَثٌ ، فالحسن ابني أمير الناس » .

وبايع النّاس حُمَيْد بن قَحطبة لأخيه الحسن ، وكان قد سيّره أبوه في سريّة ، فأرسلوا إليه وأحضروه ، وسلّموا إليه الأمر .

ولما فقدوا قَحطبة بحثوا عنه فوجدوه في جدول وحرب بن سالم بن أحوَز قتيلين ، فظنّوا أنّ كلّ واحد منهما قد قَتل صاحبه .

وقاتل أهل خُراسان ، فانهزم أهل الشّام .

ولما انهزم حوثرة لحق بابن هبيرة ، فانهزم ابن هبيرة بهزيمته ، ولحقوا بواسط وتركوا عسكرهم بما فيه من الأموال والسّلاح (١٤٥) .

ولا يمكن أن نطلق تعبير : معركة ، على هذا الذي حدث بين الجانبين ، فلم يكن هناك قتال بالمعنى الصحيح ، بل كان هناك هزيمة منكرة أو فضيحة على أصدق تعبير ، فما كادت مقدّمة ابن هُبيرة تنهزم ، إلاّ انهزم الجيش كلّه وعلى رأسه قائده ابن هبيرة ، وهذا إن دلّ على شيء ، فانما يدلُ

(١٤٤) الجبارية : لاذكر لها في معجم البلدان ، والظاهر أنهـا تقع بين الفلوجة والكوفة على الفرات .

(١٤٥) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤١٤ – ٤١٧) وابن الأثير (٥ / ٤٠٣ – ٤٠٤).

على انهيار معنويات جيش الدولة وسوء قيادتها وتغلغل الدعوة العباسيّة بين صفوفها سراً .

وقد كان قتل قحطبة وتغيّبه عن قيادة أصحابه مدة كان خلفه فيها بعيداً عن ساحة القتال فرصة ذهبية بالنسبة لجيش الدولة ، ولكن ابن هبيرة لم ينتهزها في تحطيم قوّات أبي مسلم ، وكان في شغل شاغل عنها بالهزيمة التي تقبّلها بدون قتال تقريباً .

إن هذه المعركة خير مؤشر على أنّ الدولة القائمة تسير بخطىً حثيثة إلى الزوال .

ب. ولعلّ أوضح دليل على انهيار الدولة القائمة ماحدث بالكوفة ، فقد خرج محمد بن خالد بن عبدالله القَسْرِيّ بالكوفة مسوِّداً قبل أن يدخلها الحسن ابن قَحْطَبَة ، وأخرج عنها عاملَ ابن هبيرة ، ثم دخلها الحسن .

وكان من خبره ، أن محمّداً خرج بالكوفة ليلة عاشوراء مسوِّداً وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي ، وعلى شُرَطه عبدالرحمن بن بشير العجليّ . وسار محمّد إلى قصر الامارة بالكوفة ، فارتحل زياد ومَنْ معه من أهل الشّام ، ودخل محمد القَصر .

وسمع حَوْثرة الخبر ، فسار نحو الكوفة ، فتفرّق عن محمّد عامّة مَنْ معه لما بلغهم الخبر ، وبقي في نفرٍ يسيرٍ من أهل الشّام ومن اليمانيين الذين كانوا قد هربوا من مروان ، وكان معه مواليه أيضاً .

وأرسل أبو سَلِمَة الخَلاّل ، ولم يظهر بعد ، إلى محمد يأمره بالخروج من القصر تخوّفاً عليه من حَوْثَرَة ومَنْ معه ، ولم يبلغ أحداً من الفريقَين هلاك قَحطبة بَعْدُ .

وبلغ حوثرة تفرّق أصحاب محمد عنه ، فتهيّأ للمسير نحوه .

وبينما محمّد في القصر ، إذ أتاه بعضُ طلائعه فقال له : « قد جاءت خيل من أهل الشّام ، فوجّه إليهم عدّة من مواليه ، فناداهم الشّاميّون : نحن بَجيْلة وفينا مليح بن خالد البَجَلِيّ ، جئنا اندخل في طاعة الأمير ، فدخلوا ! !

ثمّ جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بَحْدَل ، فلما رأى ذلك حوثرة من صنع أصحابه ، ارتحل نحو واسِط .

وكتب محمّد بن خالد من ليلته إلى قَحطبة ، وهولا يعلم بهلاكه ، يُعْلِم أنّه قد ظفر بالكوفة .

وقدم رسول محمّد بن خالد على الحسن بن قحطبة ، فلما دفع إليه كتاب محمد بن خالد ، قرأه على النّاس ، ثم ارتحل نحو الكوفة ، فأقام محمد بالكوفة يوم الجمعة والسّبت والأحد ، وصبحه الحسن بن قَحطبة يوم الاثنين .

وقيل : إنّ الحسن بن قَحطبة أقبل نحو الكوفة بعد هزيمة ابن هُبَيْرَة ، وعليها عبدالرحمن بن بشير العجلِيّ ، فهرب عنها ، فسوّد محمّد بن خالد وخرج في أحد عشر رجلاً ، وبايع الناسُ .

ودخل الحسن بن قَحطبة الكوفة من الغد ، فأتوا أبا سَلِمَة ، وهو من بني سَلِمَة ، فاستخرجوه ، فعسكر بالنُخَيْلَة (١٤٦) يومين ، ثم ارتحل إلى (حَمّام أَعْيَن) (١٤٧) ، ووجّه الحسن بن قَحطبة إلى واسِط لقتال ابن هُبيرة .

وبايع النّاس أبا سَلِمَة حفصَ بن سليمان مولى السُّبَيْع ، وكان يقال له : وزير آل محمّد ، واستعمل محمّد بن خالد بن عبدالله القَسْرِيّ على الكوفة ، وكان يقال له : الأمير ، حتى ظهر أبو العبّاس السفّاح .

---

(١٤٦) النخيلة : موضع قرب الكوفة ، على سمت الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٧٦ – ٢٧٧) .

(١٤٧) حمام أعين : موضع بالكوفة مشهور ، منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص ، انظر معجم البلدان (٣ / ٣٣٤) .

ووجّه أبوسَلِمَة إلى المدائن حُمَيْد بن قَحطبة في قوّاد ، وبعث المُسيّب ابن زهير وخالد بن برمك إلى (ديرْ قُنّى) (١٤٨) ، وبعث إلى (عين التَمر) وإلى الأهواز وبها عبدالواحد بن عمر بن هُبيرة ، فخرج عنها عبدالواحد إلى البصرة .

كما بعث إلى البصرة أيضاً أحد قادته ، ولكن قائدها دافع عنها ، فانهزم قائد أبي سَلِمَة ، وكان قائدها سلم بن قتيبة الباهلِيّ الذي ظلّ في البصرة حتى أتاه قتل ابن هُبيرة ، فتخلّى عنها (١٤٩) .

ويبدو أنّ انتشار الدعوة للعباسيين سرّاً ، هي التي أدّت إلى ضعف مقاومة رجال الدولة عن دولتهم في العراق واستسلامهم بشكل أو بآخر بدون مقاومة تذكر لقادة أبي مسلم ، وسيرهم تحت ألويتهم وتأييدهم لهم في الناحيتين العسكرية والادارية ، ولعلّ بقاء ونشاط أبي سلِمة في الكوفة سرّاً مكتوماً ، دليل على حذقه في الأعمال السريّة وحذره ويقظته ، فلم يعرف شأنه أحد من رجال الدولة إلاّ بعد أن انسحب قادة الدولة من الكوفة وتسلّمها العبّاسيون ، وحينذاك فقط ظهر ابو سَلِمَة كأقوى رجل في الدولة المرتقبة .

ج – وفي هذه السنة ، سار أبو العبّاس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس من (الحُمَيْمَة) إلى الكوفة بعد استسلامها لقادة أبي مسلم الخُراساني . وكان سبب مسيره على رأس بني العبّاس من آل بيته ، أنّ إبراهيم الامام لما أخذه رسول مروان إلى السِّجن الذي تُوفي فيه ، نعى نفسه إلى أهل بيته وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبدالله بن محمّد وبالسّمع والطّاعة له ، وأوصى إلى أبي العبّاس وجعله الخليفة بعده .

---

(١٤٨) دير قنى : دير على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً بين النعمانية ، وهو في الجانب الشرقي ، معدود من أعمال النهروان ، بينه وبين دجلة ميل ، وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يقال لها : الصافية ، وقد خربت ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ١٦٤) .

(١٤٩) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤١٧ – ٤٢٠) وابن الأثير (٥ / ٤٠٤ – ٤٠٧).

فسار أبو العبّاس ومَنْ معه من آل بيته إلى الكوفة ، حتى قدموها في شهر صفر ، وشيعتهم من آل خُراسان بظاهر الكوفة بحمّام أَعْيَن ، فأنزلهم أبو سَلِمَة الخلاّل دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم ، وكتم أمرهم نحواً من أربعين يوماً من جميع القوّاد والشّيعة .

وبويع لأبي العباس عبدالله بن محمد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول (١٥٠) من سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩م).

وهكذا أصبح للدولة الاسلامية خليفتان : أُمويٌّ وعباسيّ ، فكان لابد من تصفية الحساب بينهما ليذهب خليفة ويبقى خليفة .

وسار مروان من حَرَّان على رأس عشرين ومئة الف إلى الزاب الكبير (١٥١) للقاء قائد قَحطبة الذي استولى على شَهْرَزور وهو أبو عَوْن عبدالملك ابن يزيد الأزدِيّ ، فوجّه أبو سَلِمَة إلى أبي عَوْن ثلاثة من قادته ، مع كلّ قائد ثلاثة آلاف مقاتل .

ولما ظهر أبو العبّاس السفّاح وبويع له بالخلافة ، بعث إلى أبي عَوْن قائدين من قادته ، مع الأول منهما ألفان ، ومع الثاني ألف وخمسمائة ، ثم بعث قائداً ثالثاً في ألفين ، ثم أردفهم برابع ومعه خمسمائة ، ثم قال أبو العبّاس : « مَنْ يسير إلى مروان من أهل بيتي ؟ » ، فقال عبدالله بن عليّ : « أنا » ، فسيّره إلى أبي عَوْن ، فقدم عليه ، فتحوّل أبو عون عن سرادقه وخلاّهُ له ومافيه .

فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، سأل عبدالله بن عليّ عن مخاضة في الزّاب ، فدلّ عليها ، فأمر عُيَيْنَة بن

---

(١٥٠) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٢١ – ٤٣١) وابن الأثير (٥ / ٤٠٨ – ٤١٧).

(١٥١) الزاب الكبير : هو الزاب الأعلى ، بين الموصل وأربيل ، ويجري بين الجبال والأودية ، وماؤه شديد الحمرة ، ويوم الزاب بين مروان وبني العباس كان على الزاب الأعلى بين الموصل وأربيل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ٣٦٣ – ٣٦٥) .

موسى أحد قادته المرؤوسين ، فعبر في خمسة آلاف ، فانتهى إلى عسكر مروان ، فقاتلهم حتى أمسوا ، ثمّ رجع إلى عبدالله بن عليّ .

واصبح مروان ، فعقد الجسر وعبر عايه ، فنهاه وزراؤه عن ذلك ، فلم يقبل . وسيّر ابنه عبدالله بن مروان ، فنزل اسفل من عسكر عبدالله بن عليّ ، فسرّح إليه عبدالله بن علي قائداً من قادته يدعى : المخارق في أربعة آلاف .

والتقى الجانبان ، فثبت جيش مروان ، وانهزم أصحاب المخارق. وثبت المخارق ، فأسر هو وقسم من جماعته ، فسيرّهم قائد مروان إلى مروان مع رؤوس القتلى .

ولما بلغت الهزيمة عبدالله بن عليّ ، أرسل إلى طريق المنهزمين مَنْ يمنعهم من دخول معسكره ، لئلا يؤثروا في معنويات رجاله ، فبقوا خارج ميدان القتال (١٥٢) .

وأشار أبو عَوْن على عبدالله بن علي ، أن يبادر مروان بالقتال ، قبل أن ينتشر خبر هزيمة المخارق بينهم ، فيفتّ ذلك في أعضادهم ، فنادى عبدالله ابن عليّ في جيشه بلبس السِّلاح والخروج إلى الحرب .

و سار عبدالله إلى مروان . وجعل على ميمنته أبا عَوْن ، وعلى ميسرته الوليد ابن معاوية ، وكان عسكره عشرين ألفاً ، وقيل : اثني عشر ألفاً ، وقيل غير ذلك .

وأرسل مروان إلى عبدالله يسأله الموادعة ، فرفض عبدالله وأنشب القتال .

وأمر مروان ألاّ تبدأهم قواته بالقتال ، ولكنّ الوليد بن معاوية بن مروان ابن الحكم ، وهو ختن مروان بن محمد على ابنتهتحرّش بهم ، فغضب مروان وشتمه .

---

(١٥٢) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٣٢ – ٤٣٣) وابن الأثير (٥ / ٤١٧ – ٤١٨) .

و قاتل الوليد بن معاوية بن مروان أبا عَوْن ، فانحاز أبو عون إلى عبدالله ، فقال موسى بن كعب أحد قادة عبدالله بن عليّ : « يا عبدالله ! مرِ النّاس فلينزلوا » ، فنودي : الأرضَ . . . الارضَ . . فنزل النّاس وأشرعوا الرّماح وجَثَوا على الرُّكب فقاتلوا جيش مروان ، وجعل أهل الشام يتأخّرون كأنهم يُدفعُون دفعاً .

واشتدّ بين الجانبين القتال .

وقال مروان لقُضاعه : انزلوا ، فقالوا : قل لبني سُلَيْم فلينزلوا ، فأرسل إلى السّكاسك : أن احملوا ، فقالوا : قل لبني عامرٍ فليحملوا ! وأرسل إلى السكون أن احملوا ، فقالوا : قل لغَطَفَان فليحملوا ! وقال لصاحب شرطته : انزل ، فقال : والله ما كنت لاجعل نفسي غرضاً . قال : أما والله لأسوءنّك ! فقال : ودِدْتُ والله أنك قدرتَ على ذلك ! ! ..

وكان مروان ذلك اليوم لا يدبِّر شيئاً إلاّ كان فيه الخللُ ، فأمر بالأموال فأخرجت ، وقال للنّاس : « اصبروا وقاتلوا وهذه الأموال لكم » ، فجعل ناس من النّاس يصيبون من ذلك ، فقيل له : إنّ النّاس قد مالوا على هذا المال ، ولا نأمنهم أن يذهبوا به ! فأرسل إلى ابنه عبدالله : أن سرْ في أصحابك إلى مؤخّر عسكرك ، فاقتل مَن أخذ من المال وامنعهم ! !

ومال عبدالله بن مروان برايته وأصحابه ، لينفّذ أمر والده مروان في حماية المال ، فقال الناس : الهزيمةَ . . . . الهزيمة ! فانهزم مروان وانهزموا ، وقُطع الجسر ، وكان مَنْ غرق يومئذٍ أكثر ممن قُتل .

وكانت هزيمة مروان بالزّاب يوم السّبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة (١٥٣) .

(١٥٣) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٣٢ – ٤٣٥) وابن الأثير (٥ / ٤١٧ – ٤٢١) .

وكانت هذه المعركة من المعارك الحاسمة ، فقد بدأت دولة جديدة هي دولة بني العباس ، وأنهَت دولة قديمة هي دولة بني أُميّة ، وكان المتوقّع أن يكون فيها القتال استقتالاً من الجانبين المتقاتلين ، ولكنّ الأمر لم يكن كذلك ، فما قاتل جيش مروان ، ولا صبر على القتال ساعات ، وانهزم بدون قتال جماعي تقريباً ، وربما قاتل أفراد منه فأحسنوا القتال ، ولكنّ القتال الفردي لا تأثير له في سير المعركة. والقتال الجماعي وحده هو الذي له تأثير في سير المعركة ونتائجها .

ونعود إلى أسباب هزيمة مروان في هذه المعركة الحاسمة وشيكاً ، عند الحديث عن سمات مروان قائداً في فقرة القائد .

الإنسان

١ـ لما هُزم مروان في معركة الزاب الحاسمة ، هرب من ساحه المعركة ، وعبر نهر دجلة من مدينة (بَلَد) (١٥٤) حتى أتى مدينة حَرّان ، فأقام بها نيِّفاً وعشرين يوما .

وسار عبدالله بن علي العباسيّ حتى أتى الموصل ، فدخلها وعزل عامل مروان عايها واستعمل عليها عاملاً جديداً ، وذلك بُعَيْد معركة الزّاب مباشرة .

وسار في أثر مروان ، فلما دنا منه حمل مروان أهله وعياله ومضى منهزماً وخلّف بمدينة حَرّان ابن أخيه أبان بن يزيد بن محمد بن الحكم وتحته أمّ عثمان ابنة مروان .

وقدم عبدالله بن عليّ حَرّان ، فلقيه أبان مسوّداً مبايعاً له ، فبايعه ودخل في طاعته فأمّنه ومَنْ كان معه بحرّان والجزيرة .

(١٥٤) بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ، بينها سبعة فراسخ ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً ، ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٦٥) .

ومضى مروان إلى حِمْص ، فلقيه أهلها بالسّمع والطّاعة ، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم غادرها ، فلما رأى أهل حمص قلّة مَن معه . طمعوا فيه و هو مرعوب منهزم ، فأتبعوه بعدما رحل عنهم ، فلحقوه على أميال من المدينة .

ورأى مروان غبرةَ الخيل ، فوضع لهم كميناً ، فلما جاوزوا الكمين صافّهم مروان فيمَن معه وناشدهم ألا يقاتلوه ، فأبوا إلا قتاله . وقاتلهم مروان وأتاهم الكمين من خلفهم ، فانهزم أهل حِمْص وقُتلوا حتى انتهوا إلى قريب المدينة .

وأتى مروان دمشق ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ، فخلّفه فيها وقال : « قاتلهم حتى يجتمع أهل الشّام » .

ومضى مروان حتى أتى فلسطين ، فنزل (نهر أبي فُطْرس) (١٥٥) . وقد غلب على فلسطين الحَكَم بن ضبعان الجُذامي ، فأرسل مروان إلى عبدالله بن يزيد بن رَوْح بن زنباع الجُذاميّ فأجاره .

وكان السفّاح قد كتب إلى عبدالله بن عليٍّ يأمره باتباع مروان ، فسار في أثره حتى أتى الموصل ، فتلقّاه مَنْ بها مسوِّدين وفتحوا له المدينة ، ثم سار إلى حَرَّان فتلقّاه أهلها مسوِّدين أيضاً ، فهدم عبدالله الدّار التي حُبس فيها إبراهيم الإمام . وسار عبدالله من حَرَّان إلى (مَنْبِج) (١٥٦) وقد سوّدوا ، فأقام بها وبعث إليه أهل (قِنّسْرِيْن) (١٥٧) ببيعتهم ، وقدم عليه أخوه عبدالصَّمد بن علي ، أرسله السفّاح مدداً له في أربعة آلاف ، فسار بعد قدوم

---

(١٥٥) نهر أبي فطرس : موضع قرب مدينة الرملة من أرض فلسطين ، والنهر مخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس ويصب بالبحر الميت ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٣٣)

(١٥٦) منبج : مدينة كبيرة واسعة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ، انظر معجم البلدان (٨ / ١٦٩) .

(١٥٧) قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧ / ١٦٧ — ١٧٠) .

عبدالصَّمد إلى قنّسرين بيومين ، وكانوا قد سوّدوا ، فأقام يومين . وسار إلى حِمْص وبايع أهلهـــا وأقام بها أياماً . ثم سار إلى (بَعْلَبَك) (١٥٨) فأقام بها يومين . ثمّ سار فنزل (المِزَّة)(١٥٩) مزّة دمشق ، وهي قرية من قرى الغوطة ، فقدم عليه أخوه صالح بن علي مدداً له .

وحاصر عبدالله بن علي دمشق ، فدخلها عَنْوَةً يوم الاربعاء لخمس مضين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجريّة .

وأقام عبدالله بن عليّ في دمشق خمسة عشر يوماً ، ثم سار يريد فلسطين . فلقيه أهل الأُردن وقد ســوّدوا . وأتى نهر أبي فُطْرُس وقد ذهب مروان ، فأقام عبدالله بفلسطين ، فأتاه كتاب السفّاح يأمره بإرسال صالح بن علي في طلب مروان .

وانطلق صالح حتى بلغ (العَرِيْش) (١٦٠) ، فأحرق مروان ما كان حوله من علف وطعام .

وسار صالح ، فنزل نهر النّيْل ، ثمّ سار حتى أتى (الصَّعِيْد)(١٦١) ، وبلغه أنّ خيلاً لمروان يحرقون الأعلاف ، فوجّه إليهم قوّة من قوّاته ، فأُخذوا وقُدم بهم على صالح وهو بـ (الفُسْطَاط) (١٦٢). وسار فنزل موضعاً يقال

---

(١٥٨) بعلبك : مدينة قديمة فيها آثار قديمة ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام من جهة الساحل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٢٦) .

(١٥٩) المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ ،انظر معجم البلدان (٨ / ٤٧) ، وهي اليوم ضاحية من ضواحي دمشق الحديثة .

(١٦٠) العريش : مدينة كانت أول عمل من أعمال مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ١٦٢ – ١٦٣) .

(١٦١) الصعيد : بلاد واسعة كبيرة بمصر ، فيها عدة مدن عظام منها مدينة أسوان وهي أوله من ناحية الجنوب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ٣٦٠ – ٣٦١) .

(١٦٢) الفسطاط : مدينة في مصر بناها عمرو بن العاص فاتح مصر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٣٧٧ –٣٨٤) ، وهيمدينة القاهرة القديمة حول جامع عمرو بنالعاص الموجود حالياً .

له : (ذات السّلاسل) (١٦٣)، وقدّم أبا عَوْن عامر بن اسماعيل الحارثيّ وشُعْبَة بن كثيرالمازنيّ في خيل أهل الموصل ، فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالاً ، فقتلوا بعضاً واستحيوا بعضاً. وسألوهم عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم. وساروا فوجدوه في كنيسة في (بوصير)(١٦٤) فوافوه ليلاً وكان أصحاب أبي عَوْن قليلين، فقال عامر بن إسماعيل : « إنْ أصبحنا ورأوا قلّتنا أهلكونا ولم ينجُ منّا أحد » ، وكسر جفن سيفه ، وفعل أصحابه مثله ، وحملوا على أصحاب مروان فانهزموا ، وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه . وصاح صائح : « صُرِع أمير المؤمنين »، فابتدروه، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة فاحتزّ رأسه ، فأخذه عامر وبعث به إلى أبي عَوْن،وبعثه أبو عَوْن إلى صالح بن عليّ،فسيّره صالح إلى أبي العبّاس السفّاح.

وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجّة ، ورجع صالح إلى الشّام، وخلّف أبا عَوْن بمصر ، وسلّم إليه السّلاح والأموال والرّقيق .

وحين وصل رأس مروان إلى السفّاح سجد شكراً لله .

ولما قُتل مروان ، هرب ابناه عبدالله وعُبَيْد الله إلى أرض الحبشة ، فلقوا من الحبشة بلاء شديداً : قاتلهم الحبشة ، فقُتل عبيدالله ونجا عبدالله في عدّة ممّنْ معه ، فبقي إلى خلافة المهديّ ، فأخذه نَصْر بن محمّد بن الأشعث عامل فلسطين للمهدي ، فبعث به الى المهديّ .

ولما قُتل مروان كان عمرُه ستاً وخمسين سنة قمريّة ، إذ ولد سنة ست وسبعين الهجريّة ، وقتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية ، وأربعاً وخمسين سنة شمسيّة (١٦٥) ، إذ ولد سنة (٦٩٥ م) وقتل سنة (٧٤٩ م) .

---

(١٦٣) ذات السلاسل : لاذكر لها في معجم البلدان ، ويبدو أنها في الصعيد .

(١٦٤) بوصير : هي قرية بوصير قوريدس من كورة الأشمونين ، إحدى كور الصعيد الأدنى غربي النيل ، وهي القرية التي قتل بها مروان بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية ، انظر معجم البلدان (١ / ٢٦١) و (٢ / ٣٠٦) .

(١٦٥) ورد أن عمره حين قتل اثنتان وستون سنة، وقيل إن عمره تسع وستون سنة،ولا يصح =

وكانت ولايته على الخلافة حين بويع إلى أن قُتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً .

وكان يكنّى : أبا عبدالملك ، وكان أبيض أشهل شديد الشّهلة ، ضخم الهامة ، كثّ اللّحية أبيضها ، ربْعَة ، وكان حازماً شجاعاً إلاّ أنّ مدّته انقضت فلم ينفعه حزمه ولا شجاعته (١٦٦) .

وكان كثير المروءة ، كثير العُجب ، يعجبه اللّهو والطّرب ، ولكنّه كان يشتغل عن ذلك بالحرب (١٦٧) .

أولاده : عبدالملك ، وعبدالرحمن ، وعثمان ، وعبدالله ، وعُبَيْدالله ، وعبدالغفّار ، ويزيد . وأبو عثمان ، ومحمد . وأبان (١٦٨) .

نزل حرّان من أرض الجزيرة ، وكان جميع مَنْ مَلَكَ قبله من بني أميّة ينزلون دِمَشْق ، ومنهم مَنْ كان يتَبَدّى ، وكانت أيامه كلّها فتناً وحروباً ، ولم تصفُ له الأمور (١٦٩) ، فما استراح لحظة بعد أن تولّى الخلافة ، وقاتل في عدة جبهات داخليّة : جبهة بني أميّة المخالفين وجبهة بلاد الشام ، وكان المفروض أن تكون هاتان الجبهتان له لا عليه . كما قاتل في جبهة الحجاز واليمن والأندلس ، والعراق وخُراسان وبلاد المشرق الإسلامي كافة ، ولعلّ أخطر الجبهات التي قاتل فيها هي جبهة خُراسان بخاصة وجبهة المشرق الإسلامي بعامة ، فهذه هي الجبهة التي قضت عليه خليفةً وعلى دولة الأُمويين في الشّام ، وأدّت فيما أدّت إليه إلى قيام الدولة العباسيّة .

= هذا ، لأن مولده معروف وسنة قتله معروفة أيضاً ، وهو كما ذكرنا في أعلاه .

(١٦٦) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٤٣٧ – ٤٤٣) وابن الأثير (٥ / ٤٢٤ – ٤٢٩) وابن كثير (١٠ / ٤٤ – ٤٦) ، وانظر العبر (١ / ١٧٤) .

(١٦٧) ابن كثير (١٠ / ٤٧) .

(١٦٨) جمهرة أنساب العرب (١٠٧) وانظر العقدالفريد (٤ / ٤٦٩) .

(١٦٩) التنبيه والأشراف (٣٢٥) .

٢- وينبغي أن نفرِّق بين مروان الوالي، ومروان الخليفة، فبقدر ما كان مروان الوالي موفَّقاً في عمله إدارياً وقائداً وإنساناً، كان مروان الخليفة غير موفق في عمله إدارياً وقائداً وإنساناً.

فقد استعمل هشام بن عبدالملك على الجزيرة وأذربيجان وإرمينية ابن عمه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة أربع عشرة ومئة الهجرية كما علمنا، خلفاً لمَسْلَمَة بن عبدالملك مروان.

وكان سبب ذلك، أنّه كان في عسكر مَسْلَمَة بإرمينية حين غزا الخَزَر، فلما عاد مَسْلَمَة من غزوته سار مروان إلى الخليفة هشام، فلم يشعر به حتى دخل عليه، فسأله عن سبب قدومه، فقال: «ضِقْتُ ذرعاً بما أذكره، ولم أرَ مَنْ يحمله غيري!»، قال: «وما هو!»، قال مروان: «قد كان من دخول الخَزَر إلى بلاد الإسلام، وقتل الجرّاح (١٧٠) وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين. ثمّ رأى أمير المؤمنين أن يوجِّه أخاه مسلمة ابن عبدالملك إليهم، فوالله ما وطئ من بلادهم إلاّ أدناها، ثمّ إنّه لمّا رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك، فكتب إلى الخزر يؤذنهم بالحرب، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر، فاستعدّ القوم وحشدوا، فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية، وكان قُصاراه السّلامة، وقد أردتُ أن تأذن لي غزوة أُذهب بها عنّا العار وأنتقم من العدوّ». قال هشام: «قد أَذنتُ لك»، وقال: «وتمدّني بمئة وعشرين ألف مقاتل»، قال: «وقد فعلتُ»، قال: «وتكتم هذا الأمر عن كلٍّ واحد!»، قال: «قد فعلتُ، وقد استعملتك على إرمينية» (١٧١).

وكان مروان قد خرج متخفياً عن مسلمة إلى هشام (١٧٢)، أي أنّه عاد من الجبهة الأماميّة في حالة الحرب دون إذن مسلمة ودون علمه!!

---

(١٧٠) هو الجراح بن عبدالله الحكمي، الذي قتله الخزر سنة أثنتي عشرة ومئة الهجرية في إقليم اللآن من أقاليم إرمينية بالقرب من مدينة الباب (دربند) على بحر الخزر.

(١٧١) ابن الأثير (٥/١٧٧). (١٧٢) ابن خلدون (٣ / ١٩٧).

وفي رواية أخرى : لما أقبل مسلمة ، زحفت اليه الخزر ، فلم يشعر مسلمة حتى طلعوا عليه ، فقاتلهم وحال بينهم اللّيل . وبات المسلمون يحْيون ، وانصرف الخزر ، وقتل مسلمة واستخلف مروان بن محمد(١٧٣) .

والتناقض بين الروايتين واضح ، فإنّ مسلمة عاد إلى دمشق بعد أن قتل خاقان ملك الترك وأقوى عاهل في المنطقة ، وعاد مسلمة بعد أن أحكم أموره في إرمينية (١٧٤) ، فلم يدخل الوهن على المسلمين إذاً ، بل العكس هو الصحيح وقد تغلغل مسلمة بالعمق في بلاد الخزر ، فكيف لم يطأ من بلادهم إلاّ أدناها ! !

أما الادّعاء بأنّ مسلمة كتب إلى الخزر يؤذنهم بالحرب ، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر ، أفسح فيها المجال للخزر بإكمال استعداداتهم وإنجاز حشودهم ، فليس معقولاً ولا منطقياً ، إذا لا يمكن أن يتصرّف أيّ قائد مسؤول في الدنيا هذا التصرّف : يُنذر عدوّه بالحرب ، ويفسح المجال له بالاستعداد ، ثم يتراخى عنه ثلاثة أشهر ! !

أما أنّ مسلمة لم تكن له نكاية بالخزر ، فهذا ما يدحضه سير القتال المسجّل في التاريخ العربي الإسلامي بالتفصيل ، ويدحضه ما أنجزه مسلمة في حرب الخزر بالذّات .

يبقى ما ورد عن خروج مروان متخفياً من مسلمة إلى هشام ، فهذا ما لا يمكن أن يحدث بالنسبة للجنديّ الاعتيادي البسيط ، إذ لا يمكن أن يعود إلى أهله أو يترك موقعه إلاّ بإذنٍ من قائده ، فكيف بمثل مروان ، وقد كان الرجل الثاني من جيش مسلمة بعد مسلمة وابن عمّه وأقرب المقرّبين إليه وأحد قادته الأقربين ؛ والمفروض أن يراه كلّ يوم ويتّصل به ، ولا يمكن أن يغيب عن مجلسه يوماً أو بعض يوم دون أن يعرف غيابه ! ! !

---

(١٧٣) تاريخ خليفة ابن خياط (٢ / ٣٥٩) .
(١٧٤) ابن الأثير (٥ / ١٧٩) .

ولو كان مروان مبيِّتاً الوشاية بابن عمّه مسلمة ، لاستأذنه في القفول إلى دمشق بحجّة أو بأخرى ، فيعود أدراجه إلى دمشق ، إذ ليس من المعقول أن يعود من مدينة (الباب) على بحر الخزر إلى دمشق ، والمسافة بين البلدين شاسعة ، والوقت الذي تقطع به تلك المسافة طويل ، ثمّ يبقى أمر عودته سرّاً مكتوماً على مسلمة ، فلا يعرف عن رحيل مروان وغيابه شيئاً .

كما أنّ العلاقة الوثيقة بين مسلمة ومروان من جهة ، والعلاقة الوثيقة بين هشام ومسلمة من جهة أخرى ، تجعل من الصعب على مروان أن يشيَ بمسلمة ، وتجعل من الصعب على هشام أن يتقبّل وشاية مروان ، وخاصة أنها تناقض الواقع والحقائق النّاصعة ولا يمكن أن يصدِّقها عاقل !

كلّ ذلك يجعلنا نعتمد الرواية الثانية ، وهي أنّ مسلمة بعد أن أنهى واجبه على أحسن ما يرام ، قفل راجعاً ، واستخلف مروان على الجيش وعلى ولايته ففي هذه السنة : سنة أربع عشرة ومئة الهجرية ، قفل مسلمة بن عبدالملك عن مدينة (الباب) بعدما هزم خاقان وبنى (الباب) ، فأحكم ما هنالك ، فولى هشامُ إرمينية وأذربيجان والجزيرة مروان (١٧٥) .

ويبدو أنّ مسلمة بعد عودته من إرمينية ، اقترح على هشام أن يولّي مروان مكانه ، فاستجاب هشام لاقتراح مسلمة المنطقيّ المعقول .

ولم يكن هشام ليعزل مسلمة الذي كان الرّجل الثاني في الدولة الأُموية بعد هشام وشيخ بني أُميّة ودماغهم المفكر بدون رغبة مسلمة في التخلي عن ولايته . وليس من المعقول أن يعزل مسلمة لعدم كفايته ، لأنّ كفاية مسلمة فوق الشبهات ، ولأنّ هشام بن عبدالملك ولاّه لكفايته المتميِّزة ، حتى يُعيد سيطرة الدولة على تلك الأصقاع النائية في ظروف حرجة للغاية ، هي ظروف النكسة التي راح ضحيتها القائد الجرّاح الحَكَميّ .

---

(١٧٥) الطبري (٧ / ٩٠) .

ومما يلفت النّظر ، أنّ مسلمة لم يَغْزُ ولم يتولَّ ولاية منذ سنة أربع عشرة ومئة الهجرية ، حتى توفّاه الله سنة عشرين ومئة الهجريّة أو سنة إحدى وعشرين ومئة الهجرية .

و غياب مسلمة عن تحمّل أعباء الجهاد في الفتح واستعادة الفتح ، في تلك الظروف التي قلّ فيها القادة المتميّزون ، وهو مَنْ هو كفاية وحرصاً على النهوض – بمثل هـذا الفرض – ايس طبيعياً ، بالرغـم من ثقة هشام المطلقة بمسلمة . وبالرغم من حاجة الدولة إلى أمثاله من القادة الأفذاذ .

والذي يبدو أنّ تخلّي مسلمة عن الجهاد كان لأسباب اضطرارية خارجة عن إرادته، فتخلّى عن الجهاد مُكرها لاعتلال صحته وإصابته بالمرض الذي أقعده عن مواصلة الجهاد .

وعلى كلّ حال ، فقد تولّى مروان إرمينية وأذربيجان والجزيرة لكفايته المتميِّزة ، فقد كان الرجل الثاني في القيادة الفعايّة بعد مسلمة ، فلما تخلّى مسلمة عن قيادته وولايته ، طوعاً واختيارا، كان مروان هو الرجل المناسب للعمل المناسب الذي يخلف مُسْلَمَة بن عبدالملك ، وقد أثبتت المعارك التي خاضها وإدارته القادرة لولايته أنّه كان عند حسن ظنّ هشام به ، وأنّه لم يخيِّب ظنّه بل جعل ظنّه يصبح يقينا .

وكان مروان في أيام ولايته يتّسم بالطموح ، يحبّ السّلطة ويحرص عليها ، ويوالي مَنْ يُرضي طموحه ويعادى من لا يرضي طموحه .

وقد كان موقفه من يزيد بن الوليد بن عبدالملك حين علم أنّه يدعو سرّاً لنفسه ويعتزم أن يقود ثورة مسلّحة على الخليفة القائم الوليد بن يزيد بن عبدالملك، موقفاً مشرّفاً حقاً . فكتب إلى شيخ بني أميّة وكبيرهم في حينه سعيد بن عبدالملك يحذّره مغبّة اللّعب بالنار والفتنة ويخوّفه نتائج هذا الشّغب الذي يؤدي إلى خروج الأمر عن بني أُميّة كافة ، لأنّه يفرّق كلمتهم ويُشتّت شملهم ويزرع بينهم الحقد والعداوة والبغضاء .

وعلم يزيد بن الوليد بمحاولة مروان أن يثنيه عن الثورة على الخليفة القائم، ولكن يزيد مضى في تنفيذ مخطّطه، فاستولى على السلطة بعد قتل الوليد بن يزيد خليفةً بيده مقاليد السُّلْطة والأمور.

وأعلن مروان خلافه ليزيد بن الوليد، ولكنه نسي خلافه حين أبقاه يزيد على ولايته، مما يدلّ على أنّ خلافه كان دفاعاً عن منصبه لادفاعاً عن المبادئ.

ولما مات يزيد بن الوليد، أعلن خلافه من جديد على إبراهيم بن الوليد الذي تولّى الخلافة بعد يزيد، ويبدو أنّه تمادى به طموحه، ففتق فتقاً في العائلة المالكة لم يستطع رتقه أبدا، فكأنّه حفر قبره بيديه، فخسر حتى القبر لما أصبح بحاجة إلى القبر، وخسر الأُمويون الخلافة التي كان مروان أحد أسباب زوالها عنهم.

ولما استُخلف مروان، دخل عليه الشّعراء يهنئونه بالخلافة، فتقدّم إليه طُريح بن إسماعيل الثّقفِيّ خال الوليد بن يزيد بن عبدالملك، فقال: «الحمد لله الذي أنْعم بك على الإسلام إماما، وجعلك لأحكام دينه قِواما، ولأُمّة محمّد المصطفى جُنّةً ونِظاما...، ثم أنشد:

تَسوء عِداك في سَدادٍ ونَعْمَةٍ　　خلافُتنا تِسْعِيْنَ عاماً وأشهرا

فقال مروان: «كم الأشهر؟»، فقال: «وفاء المئة يا أمير المؤمنين، تبلغ فيها أعلى درجة، وأسعد عاقبة، في النُّصْرة والتّمكينِ»، فأمر له بمئة ألف درهم!

ثمّ تقدّم إليه ذو الرُّمّة مُتَحانياً كَبْرَةً (١٧٦)، قد انحلّت عمامتهُ مُنحدرةً على وجهه، فوقف يُسوِّيها. فقيل له: تقــدّم، قال: إنّي أجلُّ أمير المؤمنين أن أَخطُب بشَرفه مادحاً بلَوْثة عِمامتي»، فقال مروان:

---

(١٧٦) أي أنه طعن في السن، فتقوس ظهره.

« ما أَمّلتُ أَنّه قد أبقت لنا منك ميّ ولا صَيْدَح (١٧٧) في كلامك إمْتاعا» ، قال : « بلى والله يا أمير المؤمنين ، أَرِدُ منه قَراحا ، والأحسن امتداحا » ، ثمّ تقدّم فأنشد شعراً يقول فيه :

فقلت لها : سِيْري أمامَك سيِّدٌ تَفرّعَ من مَرْوان أو من محمّد

فقال له : « ما فَعَلَتْ ميّ ؟ » ، فقال : « طُوِيَت غَدائرها ببُرْدٍ بَلِيِ ، ومحا التُّرب محاسن الخدّ » ، فالتفت مروان إلى العبّاس بن الوليد بن عبدالملك فقال : « أما ترى القوافي تنثال انثيالا ، يُعطى بكلٍّ مَنْ سَمّى من آبائي ألف دينار » ، فقال ذو الرُّمّة : « لو علمتُ لبلغتُ به عبد شمس (١٧٨) !

واستمتع مروان بما قيل في مدحه ، ثم ذهبت زفّة الخلافة بعد أيام شهر العسل القصيرة ، فلما انقضت أيامه لم يرثه أحد ، وهكذا على صاحب السلطان ألاّ يفكّر إلاّ بانقضاء سلطانه ، ليعرف كيف يحصل على السلطان ، عليه وكيف يعمل بعد الحصول عليه ، والعاقبة للمتقين .

إن طموح مروان غير المشروع ، قاده إلى السلطة وإلى الهلاك أيضاً .

ليس من شك في كفايته الادارية المتميزة والياً ، فقد أحسن في عمله كلّ الاحسان . ونعمت الأقطار التي كان يديرها بالأمن والاستقرار ، وكان حازماً ذكياً لايكلّ ولايملّ من العمل المتواصل والجهد الجهيد .

وكان بليغاً في تعليقاته وفي رسائله ، فقد كتب إلى نصر بن سيار في أمر أبي مُسلم : « الظّاهر يدلّ على ضعف الباطن ، والله المستعان » .

ووقّع إلى ابن هُبَيْرَة أمير العراق : « الأمرُ مضطرب ، وأنت نائم ، وأنا ساهر » ، وكتب إلى حوثرة حين وجهه إلى قَحطبة : « كُنْ من بَيات المارقة على حَذر » .

---

(١٧٧) مي : صاحبة ذي الرمة ، وصيدح : ناقته .

(١٧٨) العقد الفريد (١ / ٣١٩ - ٣٢٠) .

ووقع حين أتاه غرق قَحطبة وانهزام ابن هُبَيْرة : « هذا والله الإدبار وإلاّ فمن رأى مَيْتاً هَزَم حيّاً ! » .

وكتب جواباً لأبيات نصر بن سيّار إذ كتب إليه :

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وَمِيْضَ جَمْرٍ ويُوشكُ أن يكون له ضِرَامُ :

« الحاضر يَرى مالا يَرى الغائب ، فاحسم الثُّؤْلول » (١٧٩) ، فكتب نصر : « الثُّؤْلول قد امتدّت أغصانُه ، وعظُمت نِكايته » ، فوقَع مروان : « يداك أَوْكَتَا ، وفوكَ نَفَخ » (١٨٠) .

لقد كانت نهاية مروان مأساة من المآسي ، وماجنى عليه غير نفسه الأمارة بالسّوء . فيداه أَوْكَتَا وفوهُ نفخ ، كما قال مروان في أحد توقيعاته !

ولعلّ مصير مروان المؤلم والمحزن معاً ، يكون عبرة للذين يقودهم طموحهم غير المشروع لتولي السلطة بأيٍّ شكل وأسلوب ، دون التفكير في النتائج القريبة والبعيدة ، فكم من سلطة أودت بصاحبها وأردته وأودت بغيره وجرّت عليه وعلى غيره الويلات والمصائب ! .

ومن السّهل في كثير من الأحيان الحصول على السلطة بطريقة أو بأخرى ، والصّعوبة في الاحتفاظ بها ، لتفيد لا لتضر ، ولتبني لا لتهدم ، ولتعمّر لا لتخرّب ، ولا خير في سلطة يقتصر دورها على الضرر والهدم والتخريب .

تلك هي مجمل عبرة مروان بن محمّد لمن يريد أن يعتبر .

---

(١٧٩) الثؤلول : الخراج ، وقيل : هو بثر صغير صلب مستدير في صور شتى .

(١٨٠) هذا مثل ، وأصله أن رجلا كان في جزيرة ، فأراد أن يعبر على زق لم يحسن إحكامه ، حتى إذا توسط البحر ، خرجت منه الريح ، فلما أشرف على الغرق ، استغاث بآخر ، فقال هذا المثل : يداك شدتا فم الزق (الجراب) ، وفوك نفخه ، انظر العقد الفريد (٤ / ٢١٠) .

القائد

١ ـ أسباب الهزيمة

أ ـ العصبيّة العربيّة :

تعصّب الأمويون للعرب ، وتجلىّ ذلك في معاملتهم للمسلمين من غير العرب معاملة كانت تختلف الاختلاف كلّه عن معاملتهم للعرب المسلمين ؛ يسمّون المسلم غير العربي (المولى) ، وهي تسمية تشعر بسيادة العنصر العربيّ المسلم ، ولا يسوّون بين العربي المسلم وغير العربي المسلم في العطاء ومناصب الدولة العليا ، وينظرون إلى غير العرب نظرة احتقار وازدراء .

وهذه العصبية للعرب ، ألّبت الأعاجم في البلاء المفتوحة على العرب وأشعلت في نفوسهم عصبية مناوئة للعصبية العربيّة وهي العصبيّة الأعجميّة أو الشعوبيّة ، فأدّت هذه العصبية من الجانبين إلى إثارة الضّغائن والأحقاد في صفوف الأمة الاسلاميّة الواحدة ، فتفرّق الشّمل المجتمع وتصدّعت الوحدة المتماسكة .

وكان من نتائج هذه العصبيّة في الجانبين : استقطاب الأعاجم تحت لواء الدّعوة العباسيّة التي بدأت سنة مئة الهجريّة (٧١٩ م) وشبّت وترعرعت في خُراسان حتى أصبحت قوّة ضاربة في عهد مروان ، فاستطاعت السيطرة على خُراسان وسائر المشرق الاسلامي والعراق ، واستطاع جيشها إحراز النصر على جيش مروان ، لأنّه جيش له (قضيّة) يقاتل من أجل تحقيقها ، ولم تكن لجيش مروان (قضية) يقاتل من أجل تحقيقها والدفاع عنها ، ولا عبرة بتعداد الجنود والمقاتلين ، فالنّصر لأصحاب (القضية) والهزيمة لمن لا (قضيّة) له .

وقد كان جيش العباسيين (منظماً) ينخرط في تنظيم واحد . له مبادئ معينة يلتزم بها وأهداف معروفة يسعى إلى تحقيقها ، بعكس جيش

مروان الذي تربطه سجلاّت الديوان وحدها وهي ربطة الأرزاق .

والقوّة القليلة المنظّمة ، تنتصر على القوّة الكبيرة غير المنظّمة ، وهذا ماحدث بالنسبة لاندحار جيش مروان وانتصار جيش الدعوة العباسيّة عليه .

والعصبية العربية هي التي حدت بالشعوبيين إلى تنظيم صفوفهم تحت شعارات معينة لتحقيق أهداف معيّنة ، هي القضاء على العنصر العربيّ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ب ـ العصبية القبلية :

وهي عصبيّة أضيق نطاقاً من العصبية العربيّة ، ولكنّها أبلغ ضرراً وأشدّ خطراً من العصبية العربية ، لأنها تجعل من كلّ قبيلة أمة مستقلّة ، وهي تقتضي من أفراد القبيلة أن يتعاونوا ولو على الباطل ، وأن ينصروا المظلوم منهم والظّالم ، ومعنى ذلك أنّها تفرّق العرب وتجعل بأسهم بينهم شديداً .

وبلغ من خطورة العصبيّة القبليّة وآثارها المدمّرة ، أنها كانت سبباً من أهم أسباب قتل خليفة من الخلفاء الأُمويين ، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

فقد قُتل خالد القَسْرِيّ وهو من اليمانية، والوليد بن يزيد من المُضَرِبيّة والعصبية القبليّة بين مُضَر واليمن على أشدّها حينذاك ، فسُرّ الوليد بمقتل القَسْرِيّ وأظهر التشفيّ والشماتة ، وتجلّى ذلك في قصيدة له قال فيها :

شَدَدْنَا مُلكَنا ببني نِزارٍ ... وقَوَّمْنا بهم مَنْ كان مالا
وهذا خالدٌ أضحَى قَتِيْلاً ... ألاَ مَنَعوه (١٨١) إنْ كانوا رِجالا
ولكنّ المذلّةَ ضَعْضَعَتْهُم ... فلم يَجِدوا لذلّتهم مقالا (١٨٢)

---

(١٨١) الضمير في : منعوه ، يرجع إلى اليمانية .
(١٨٢) الأخبار الطوال للدينوري (٣٣٣) .

وهي قصيدة طويلة كان لها في نفوس اليمانيّة أسوأ الأثر ، فاجتمعوا في مدن الشّام ، واتّجهوا في جموع من اليمانية كبيرة إلى الخليفة في دمشق وخرج الوليد إليهم في جموع من المضريّة ، واقتتلوا اقتتالاً عنيفاً حاقت بها الهزيمة بمضر ، فتحصّن الوليد بقصره ، ولكنهم تسلّقوا عليه القصر وقتلوه (١٨٣) ، فتولى الخلافة يزيد بن الوليد الذي استعان باليمانيّة .

وكما تعصب الوليد بن يزيد للمضريّة على اليمانية ، تعصّب مروان للمضرية على اليمانية أيضاً ، فلجأ اليمانية إلى أحضان دعاة بني العبّاس ، وكانوا في جيشهم ، بينما كان المضريّون في جيش مروان ،وهكذا كان الأعاجم واليمانية مع العباسيين ، وكانت مضر وحدها مع مروان ، وكان المفروض أن يكون العرب المسلمون كلّهم مع مروان .

ج ـ **العصبية العائلية** :

خالف مروان سلفه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، فقـاد جيشه من إرمينية والجزيرة إلى العاصمة دمشق ، واستطاع بالقوة أن يجعل إبراهيم يخلع نفسه ويتولّى مروان الخلافة ، فشقّ بذلك شقاً في العائلة الأمويّة لم يستطع رتقه أبداً .

وقد انضم كثير من بني أُميّة إلى أعداء مروان ، فقاتلوا في صفوفهم، وبلغ الانشقاق حدّاً جعل قسماً منهم ينضّم حتى إلى صفوف الخوارج وغيرهم كما مرّ بنا في الحديث على : الصراع الداخليّ .

وكما خالف مروان سلفه إبراهيم بن الوليد ، خالفه عدد غير قليل من بني أُميّة وحاربوه حرباً لا هوادة فيهـا ، أدّت فيما أدّت إليه إلى استنزاف قوّاته الضاربة .

---

(١٨٣) الأخبار الطوال للدينوري (٣٣٣) .

كما أنّ قسماً من بني أُمية خالفوه في المناطق التي كانوا يتوّاون إدارتها، كما فعل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، الذي شق عصا الطّاعة على مروان . وقاتل في العراق قوّات مروان .

وكان المفروض أن يكون بنو أُميّة مع مروان لا عليه ، وكانوا يومئذٍ قوة ضخمة لا يُستهان بها عَدَداً ومَدَدا .

وللإنصاف نذكر أنّ أوّل مَن شَقّ صفوف الأمويين قبل مروان ، هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الذي قاد ثورة على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وقتله في قصره ، وتولّى الخلافة من بعده .

د ـ انحلال الضبط :

نعني بالضبط أو الانضباط أو الطّاعة ، تنفيذ أوامر القائد دون تردّد وعن طيبة خاطر .

وقد انهار الضّبط في الجيش الأموي وفي الدولة . فلا الجنود ينفذون اوامر القائد ، ولا الناس يخضعون للسلطة .

ولعلّ من أسباب انحلال الضبط وانهيـــاره، حرب الاستنزاف بين جيش الدولة وبين أعداء الدولة التي طالت كثيراً ، فأصبحت الحرب هي القاعدة والسّلام هو الاستثناء ، وكلما طالت الحرب زاد التذمر وضعف الضبط .

واعلّ من أسبابه الدعوة السرّية للعباسيين التي استمالت إلى جانبها كثيراً من الناس ، وأصبح معتنقو هذه الدعوة رَتَلاً خامساً بين صفوف جيش الحكومة ومكاتبها وبين افراد الشعب ، يثيرون الاشاعات ، ويثبّطون العزائم ، وينشرون الفوضى والارتباك .

ومن مظاهر انحلال الضبط ، أنّ مروان يولّي والياً على العراق ، فلا

ينصاع السلف للخلف ، ويؤدي الخلاف الناشب إلى الاقتتال بين الوالي السّابق والوالي الجديد .

ومن مظاهره ، ماحدث في الأندلس من حرب طاحنة بين مُضَر واليمن ، وتولية الأندلس أميراً لا بأمر الخلافة بل بأمر من مراكز القوّة في الأندلس ! !

ومن مظاهره ، ماحدث من اقتتال بين جيش الدولة والخارجين عليها في الحجاز واليمن ، مما أدىّ إلى ارتباك مواسم الحج ارتباكاً شديداً .

أما في خُراسان والمشرق الاسلامي فقد كانت سلطة الدولة في إجازة طويلة !

وكلّ هذا الانحلال ، أدىّ إلى تردّي معنويات جيش الدولة وإلى انهيار الضبط فيه ، وتجلّى هذا الانحلال في الضبط ، بما ظهر في معركة الزّاب الحاسمة ، فما أصدر مروان أمراً إلى قوّاته المحاربة إلاّ ولم يُنَفَّذ أمرهُ باستهتار عجيب !

وبلغ العصيان حدّاً في تلك المعركة الحاسمة لم يبلغه في معركة أخرى ، فالقبائل رفضت تنفيذ أوامر مروان دون استثناء ، حتى الرجل الذي كان على شرطته ، عصى أوامره عصياناً فاضحاً ، والمفروض أنّ مثل هذا الرّجل من أقرب المقربين إلى الخليفة ومن أخلص المخلصين له ، ولكنّه آثر العافية على الخطر ، كأنّه كان واثقاً من أنّ الهزيمة النكراء ستحلّ بمروان وشيكاً .

والجيش الذي يصاب بانحلال الضبط وانهيار المعنويات ، لاينتصر أبداً .

والدولة التي تفقد هيبتها ، لايمكن أن تبقى أبداً .

هـ ـ تجاوز الاحتياط :

حشد مروان جيشه في الزاب لخوض معركته الحاسمة ، وكان من

حقّه وواجبه أن يحشد كلّ القادرين على حمل السّلاح من أنصاره لخوض تلك المعركة الحاسمة .

ولكنّه كان عايه أن يفكّر في معارك أخرى ، يقاوم بها بالعمق أنصار العباسيين .فأذا انهزم في معركة الزّاب ، فينبغي أن يخوض معارك أخرى في حَلَب ودمشق وفلسطين وفي مصر ، ويفكّر باعداد قوّات احتياطية ، تدافع عن الدولة في معارك متعاقبة ، وألاّ ينتهي في معركة واحدة كما حدث . ثم يصبح بعد هزيمته شريداً طريداً ، ليست لديه قوات احتياطيّة تدافع عنه ، وعن الدولة كما ينبغي .

والظّاهر أنّ مروان لم يفكر باعداد قوّات احتياطية . تقاتل في حالة هزيمته في اقائه الأول والأخير ، ولهذا كانت معركة الزاب هي معركته الأولى والأخيرة ، ثم انتهى أمره وأمر الدولة بعد الهزيمة ، وأصبح همّه الحفاظ على حياته كأيّ إنسان ، يهرب من بلد إلى آخر ، وقوّات العباسيين تطارده ، إلى أن استطاعت قتله في الصّعيد من أرض مصر ، فانتهى خليفة وانتهت دولة الأمويين .

إن إهمال إعداد قوات احتياطية خطأ فاحش لايُغتفر لمروان ، دفع ثمنه حياته ومصير دولته .

٢ ـ سماته القياديّة

لاينبغي أن يُحكم على سمات مروان القياديّة بمناقشة معركة الزّاب الحاسمة التي خسرها مروان ، لأنّه خاض معارك كثيرة من معارك الفتح واستعادة الفتح واتوطيد أركان الأمن الداخلي ، فينبغي استنتاج سماته القيادية من دراسة معاركه كافة لامن دراسة معركة واحدة .

ويبدو أنّ مروان كان قائداً متميزاً في مزاياه القيادية حين كان والياً على إرمينية وأذربيجان والجزيرة ، ونتائج معاركه التي خاضها هناك تؤيّد

مزاياه القياديّة المتميزة وتشهد عليها ، فتح فتحاً جديداً ، واستعاد فتح مناطق شاسعة انتقضت على الدولة ، وأعاد الأمن والاستقرار والنظام إلى ربوع الأقاليم التي يتولىّ حكمها ، وسرّ نجاحه في مهمته قائداً وإدارياً ، أنّه كان متفرّغاً للواجبات القيادية والادارية ، لاتشغله السياسة العليا عن هاتين المهمتين .

فلما تولى مروان الخلافة ، خَفَتَ بريقُ قيادته بالتدريج ، لأنّه شُغل بتوطيد الأمن الداخلي ، ومقاومة الثورات المحليّة ، في معارك طاحنة يخسر الجانبان فيها بالاقتتال ، ولا رابح فيها لجانب دون آخر لأنّ السيوف العربية والاسلامية ، أصبحت على العرب المسلمين لا على أعدائهم ، فتوقّف الفتح واستعادة الفتح ، وتنفّس أعداء المسلمين الصعداء ، فقد أصبح المسلمون بأسهم بينهم شديداً ، يحسبهم غيرهم جميعاً وقلوبهم شتى !

لقد كان مروان قائداً لامعاً حين تفرّغ للقيادة والادارة ، ولكنه أصبح قائداً مهزوماً حين تفرّغ للسياسة وأصبحت القيادة من واجباته الثانوية .

وقد شهد المؤرخون على كفاية مروان القيادية في مدّة ولايته على إرمينية وأذربيجان والجزيرة من سنة اربع عشرة ومئة الهجرية إلى سبع وعشرين ومئة الهجرية ، فذكروا : أنه فتح بلاداً كثيرة وحصوناً متعدّدة في سنين كثيرة. وكان لا يفارق الغزو في سبيل الله ، وقاتل طوائف من النّاس الكفّار ومن الترك والخزر واللان وغيرهم ، فكسرهم وقهرهم . وقد كان شجاعاً بطلاً مقداماً حازم الرأي (١٨٤) ، ذكره الخليفة أبو جعفر المنصور مرّة فقال: «لله درّه ! ما كان أحزمه وأسوسه وأعفّه عن الفيء» (١٨٥)

وكان مروان مجرّباً صابراً على التّعب والنصب (١٨٦) ، وكان شجاعاً حازماً إلاّ أنّ مدّته انقضت فلم ينفعه حزمه ولا شجاعته (١٨٧) .

---

(١٨٤) البداية والنهاية (١٠/ ١٧).
(١٨٥) العبر (١ / ١٧٨) .
(١٨٦) التنبيه والأشراف (٣٢٨) .
(١٨٧) ابن الأثير (٥ / ٤٢٩) .

تلك هي سماته القياديّة التي نوّه بها المؤرخون والتي برزت أيام ولايته ، ولم تتخلّ عنه بالطبع هذه السّمات المتميّزة بعد أن تولّى الخلافة ، ولكنّ السياسة طغت عليها فغطّتها بحجاب كثيف وحجبتها عن الانظار .

لقد كان قائداً فاتحاً ، حريصاً على الغزو أعظم الحرص ، منتصراً على أمم شتى من الترك والخزر واللان وغيرهم ، شجاعاً بطلاً مقداماً حازماً ، صابراً على التعب والنّصب ، أميناً على الغنائم .

والحصول على المعلومات عن العدو ، مهمّة شاقة للغاية ، تعمل عدّة أجهزة من أجهزة الجيش على تحقيقها ، كالعيون والأرصاد ومفارز الاستطلاع المختلفة والاستطلاع الشخصيّ ، وقد تميّز مروان بقابليته الفذة على حزر تعداد عدوّه بسرعة وسهولة ويسر وبمنتهى الدقّة أيضاً .

ذكر كاتب مروان مُصْعَب بن الرّبيع الخثعَميّ قال : « لما انهزم مروان وظهر عبدالله بن عليّ العبّاسيّ على الشّام ، طلبتُ الأمان فآمنني ، فإني يوماً جالس عنده ، وهو مُتّكئ ، إذ ذكر مروان وانهزامه ، قال : أشهدتَ القتال؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير ! فقال : حدّثني عنه : قلت . لمّا كان ذاك اليوم قال لي : احزر القومَ ! فقلتُ : إنّما أنا صاحب قلم ، ولستُ صاحب حرب ، فأخذ يمنة ويسرة ونظر فقال : هم اثنا عشر ألفاً ! فجلس عبدالله ، ثمّ قال : ماله قاتله الله ! ما أحصى الديوان يومئذٍ فضلاً عن اثني عشر ألف رجل(١٨٨).

والقائد الذي يتمتّع بهذه المزيّة في معرفة تعداد عدوّه ، يستطيع أن يُعدّ خطّته على هدى وبصيرة ، لأنّه أحرز أهمّ المعلومات عن عدوّه ، فيختصر الطريق في إعداد خطّته السريعة السّليمة لمصاولة ذلك العدو .

وهذه المزيّة إن دلّت على شيء ، فإنما تدل على ذكاء القائد وتمتّعه بالتجربة العملية في تطبيق علومه العسكريّة النظريّة .

---

(١٨٨) الطبري (٥ / ٤٣٩) .

ومن دراسة المعارك التي خاضها مروان ، نستطيع أن نستنتج أنّه كان حذراً يقظاً ، لا يسير إلاّ على تعبية ، ليحرم العدو من مباغتة قواته ، فلا يستطيع عدوّه أن يباغته في الحرب .

فقد حاول رجال سليمان بن هشام بن عبدالملك أن يبيّتوا جيش مروان ، فلم يفلحوا في محاولاتهم .

وكان مروان ذا رأي ومكيدة ، ولعلّ إرساله ثلاثة آلاف فارس ، التفوا حول حَماة ودمشق عندما أراد مروان الاستيلاء عليهما ، فضربوا جيش دمشق في وقت لا يتوقعونه ومن مكان لا يتوقّعونه أيضاً ، دليل على ما يتمتّع به مروان من رأي ومكيدة في إعداد خططه العسكريّة وتنفيذها (١٨٩) .

وكان تنفيذه لخطّة الالتفاف التي أعدّها مروان مباغتة كاملة بالمكان والزّمان معاً .

وما دمنا في مجال الحديث عن المباغتة ، التي هي أهمّ مبدأ من مبادئ الحرب على الإطلاق ، فقد باغت مروان الخزر في بلادهم ، بإظهاره مهادنتهم علناً ، واستعداده لحربهم سرّاً ، وتأخير وفدهم ، ثم ترحيلهم على طريق طويلة ، بحيث وصلوا إلى ملك الخزر في الوقت الذي وصل إليه مروان ، دون أن يترك له الوقت الكافي للاستعداد ، ممّا أدّى إلى اندحار الخزر اندحاراً كاملاً وانتصار مروان انتصاراً مؤزّراً ، لأنّ مروان باغت الخزر بالزمان مباغتة لم تترك أمامهم غير الرضوخ إلى مروان (١٩٠) .

وقد كان في مدّة ولايته على إرمينية وأذربيجان والجزيرة ، يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، تطبيقاً جيداً ، فكان مقصده في معاركه كسر شوكة

(١٨٩) انظر التفاصيل في الطبري (٧ / ٣٠٠ – ٣٠٢) وابن الأثير (٥ / ٣٢١ – ٣٢٢) .
(١٩٠) انظر فتوح البلدان (٢٩٢ – ٢٩٤) وابن الأثير (٥ / ١٧٨ – ١٧٩) وتاريخ خليفة ابن خياط (٢ / ٣٦١) .

المخالفين في ولايته وإعادتهم إلى طاعة الدولة، وفرض هيبة الدولة في المناطق التي يحكمها : فنجح في تحقيق مقصده أعظم النّجاح .

وكان يطبّق مبدأ : التعرّض تطبيقاً مثالياً فلا يكاد يسمع بحشود معادية في منطقة من مناطق ولايته المترامية الأطراف ، إلاّ ويبادر إلى التعرّض ، لإحباط نياتها في الانتقاض والثورة .

وكان يطبّق مبدأ : حشد القوّة ، فيحشد رجاله في المكان المناسب والزّمان المناسب بكميّة من المقاتلين والمعدّات كافية لتحقيق المقصد المطلوب ، فما خاب في معركة واحدة في مدة ولايته ، وانتصر في جميع المعارك التي خاضها بسهولة ويسر على أعدائه .

وكان يطبّق مبدأ : الاقتصاد في المجهود ، فلا إسراف في الحشد ولا تقصير فيه ، بل يقتصر على حشد القوّات المناسبة لتنفيذ المقصد المناسب .

وكان يطبّق مبدأ : الأمن ، فكان حَذِراً يقظاً لا يسير إلاّ على تعبية ، يعجز عدوّه عن تبييته أو مباغتته ، وعلى العكس من ذلك ، فقد استطاع مروان في كثير من عمليّاته العسكرية مباغتة أعدائه وتبييتهم .

وكان يطبّق مبدأ : المرونة ، فلم تكن خططه التّعبويّة جامدة ، بل كانت مرنة يحورها بحسب ظروف المعركة وتطوّرها .

وكان يطبّق مبدأ : التعاون ، بين قوّاته التي يقودها ، وبين هذه القوّات والقوّات المحليّة للبلاد المفتوحة ، ويعتبر مروان أوّل مَنْ نَظّم واجبات القوّات المحليّة للتعاون مع قوّاته الأصلية بحيث تعرف كل قوّة من تلك القوّات المحلية واجبها بالضّبط ، دون التباس أو غموض .

وكان يطبّق مبدأ : إدامة المعنويات بالنصر ، فنجح في ذلك نجاحاً باهراً يوم كان والياً، ولكنه لم ينجح في إدامة المعنويات بعد أن أصبح في قمة السُّلطة العليا خليفة للمسلمين .

وكان يطبِّق مبدأ : الأمور الإدارية . تطبيقاً رائعاً ، فلم يعرف عن جيش قاده في وقت من الاوقات أنّه جاع أو عطش أوعانى نقصاً من شؤونه الإدارية .

تلك هي قابلية مروان المتميِّزة في تطبيق : مبادئ الحرب .

أما سجاياه القيادية الأخرى . فقد كان سريع القرار . وكانت قرارته صحيحة سليمة في كلٍّ معاركه التي خاضها عدا معركة (الزّاب) ، فقد كانت قراراته خاطئة للغاية ، لأنّه كان مرتبكاً في هذه المعركة ، أمله بالنصر قليل، ومعنوياته منهارة ، ولأنّ رجاله تخلّوا عن تنفيذ أوامره في أحرج الأوقات وأخطرها .

وكان شجاعاً بطلاً ، لا غبار على شجاعته الشخصيّة ، إلاّ في معركة الزاب ، فقد انهزم من ساحة المعركة ، فلطّخ سيرته بعار الهزيمة التي لا تناسب خليفة من الخلفاء ، لذلك رفض أهل الموصل السّماح له وللمنهزمين من رجاله أن يسمحوا لهم بعبور نهر دجلة عن طريق مدينتهم ، لأنّهم لم يصدّقوا أنّ الخليفة يمكن أن ينهزم فقال قائلهم لرجاله المنهزمين معه : كذبتُم ! أمير المؤمنين لا يفر .(١٩١) .

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة ،يتحمّل المسؤولية كاملةً دون تردّد أو تملّص ، يتمتع بمزيّة سبق النّظر ، فيحسب لكل أمرٍ حسابه ويُعدّ له عدّته ، ويتمتّع بشخصية قويّة نافذة .

ولعلّ من أبرز سماته القيادية ، هي مزية تحمل المشاق والصبر عليها ، فقد كان : « صابراً على التّعب والنّصب » (١٩٢) .

ولكنّه لم يكن يتبادل الثقة الكاملة بينه وبين رجاله ، ولا المحبة المتبادلة ، لأنه كان : « ظالماً »(١٩٣) ، « صارما » ، (١٩٤) ، وكان يُغرى بين القبائل

---

(١٩١) ابن الأثير (٥ / ٤٢٤) .

(١٩٢) التنبيه والأشراف (٣٢٨) .

(١٩٣) العبر (١ / ١٧٨) .

(١٩٤) البداية والنهاية (١٠ / ٤٧) .

ويُغضب بين العشائر ، واصطفى قيس عَيْلان وانحرف عن اليمن وبادأها العداوة . فصارت عليه إلباً ، وعليه حربا (١٩٥) .

لهذا تخلّى عنه رجاله في أحرج الأوقات والظروف : في معركة الزّاب الحاسمة ، ولم يقاتل ولاته على المدن والأمصار كما ينبغي ، بل استسلموا دون مقاومة تذكر لجيش بني العبّاس . .

لقد كان النّاس يهابون مروان ويخافونه خوفاً شديداً حين كان في السلطة قوياً ، لأنه كان ظالماً لا يبالي بالقتل والصّلْب ، حتى لقد صَلّب الموتى والقتلى أيضاً ، كما جرى في معركة حِمْص عندما نكث أهلها ، فقد صلب خمسمائة من القتلى حول المدينة ، وهدم قسماً من سور المدينة (١٩٦) انتقاماً من أهلها .

وبالغ في القتل مبالغة جعلت القلوب التي حوله تتغيّر عليه سرّاً وتظهر له الولاء علناً ، أما الذين كانوا مع الاعداء ، فقد قاتلوه بعنف وشدّة ، لأنّه صدّع قلوبهم بالظلم والتعصب والانتقام .

ولكن حين أصبح ضعيفاً ، وبدت بوادر انهيار سلطته ، خلع الناس عنهم لباس الخوف ، وكشفوا له ولأعوانه نياتهم ، فهؤلاء الذين بقوا حول مروان مضطرين اضطراراً ، ولم يستطيعوا التخّلي عنه نظراً لظروفهم الخاصة أو لأسباب قاهرة ، وهم أهل الشام ، أقرب المقربين إلى بني أُميّة وحماة دولتهم وقاعدتهم الأمنية ، بذلوا قصارى جهدهم للتخلّص من مروان ، فقدم جنودهم إلى سليمان بن هشام بن عبدالملك بن مروان ، وكان في جيش مروان ، فاتصلوا به سراً وحسّنوا له خلع مروان وشجّعوه عليه ، وقالوا له : « أنت أرضى عند النّاس من مروان وأولى بالخلافة » ، فأجابهم إلى ذلك ، فسار بإخوته ومواليه معهم ، فعسكر بقنّسرين ، وكاتب أهل الشّام ، فأتوه من كلٍّ وجه (١٩٧)

(١٩٥) التنبيه والأشراف (٣٢٨) . (١٩٦) ابن الأثير (٥ / ٣٢٩) .
(١٩٧) ابن الأثير (٥ / ٣٣١) .

وبلغت درجة بغض مروان من أبناء شعبه ، أنّ قسماً من بني أُميّة لجأوا إلى أعدائه وقاتلوه إلى جانبهم ، حتى أنّ قسماً منهم لم يتورّع من اللجوء للخوارج والصّلاة خلفهم والقتال إلى جانبهم ، لامحبة بهم بل كرهاً لمروان .

والقائد الذي لا يحبّه رجاله ولا يثقون به ، لا يمكن أن ينتصر أبدا .

ولعلّ مروان وما حاق به ، يكون عبرة للمعتبرين .

وأخيراً ، فلم يكن مروان يتمتع بقابلية اختيار الرجل المناسب ، فظهر هذا النقص فيه أيام خلافته ، لأنّه كان بحاجة إلى كفايات عالية تسيطر على أرجاء الدولة الشاسعة ، فولى مَنْ لا كفاية لديه ، وحرم أصحاب الكفايات . فأسلمه قادته وولاته الإمّعات إلى مصيره المؤلم.

لقد نجح مروان قائداً وإدارياً مرؤوساً ، وأخفق خليفة .

مروان في التاريخ

يذكر التاريخ لمروان ، أنّه فاتح قُونِيَة من أرض الرّوم ، وكَمَخ من أرض الجزيرة . ويذكر له ، أنّه استعاد فتح كثير من إرمينية وأذربيجان والجزيرة ، ووطّد أركان الأمن والاستقرار فيها .

ويذكر له أنّه تولّى إرمينية وأذربيجان والجزيرة ثلاث عشرة سنة ، نعمت فيها تلك المناطق بالهدوء والاستقرار والأمن بشكل لم تنعم به من قبله ولا من بعده.

ويذكر له ، أنّه مزّق بني أُميّة إرضاء لطموحه غير المشروع في تولي الخلافة ، فلما تولاها كانت وبالاً عليه وعلى الدولة القائمة .

ويذكر له ، أنّه كان يخافه الناس حين كان قوياً في سلطته . فلما ضعف تخلّى عنه الناس وأسلموه لأعدائه .

ويذكر له أنّه كان قائداً لامعاً وإدارياً حازماً في ولايته ، لأنّه كان متفرّغاً للقيادة والإدارة حسب .

فلما تولّى الخلافة شغلته السياسة عن واجباته إدارياً وقائدا ، فأتلف نفسه وأودى بآل بيته وقرض الدولة القائمة .

إنّه مضى إلى غير رجعة ، ولكنّ عبرته في التّاريخ باقية ما بقي التّاريخ .

الجزء الاول

المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ

كانون الثاني ١٩٨٤ م

الفهرس

الجزء الاول

المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 08 / شوال / 1443 هـ
09 / 05 / 2022 م

سرمد حاتم شكر السامرائـــي





ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ
كانون الثاني ١٩٨٤ م